من روائع الأدب العالمي للناشئين

الكونت دي مونت كريستو

تأليف : الكسندر دوماس
تبسيط : مايكل ويست
ترجمة : صبري الفضل
مراجعة : مختار السويفي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

هذه ترجمة لرواية

THE COUNT OF MONTE CRISTO

By : ALEXANDRE DUMAS

رئيس التحرير : مختار السويفى

الاخراج الفنى : الحبيبة حسين

مقدمة

ولد الكسندر دوماس ، الذى يعرف بدوماس الأب في ٢٤ يوليو ١٨٠٢ ، وتوفى فى ٥ ديسمبر ١٨٧٠ ٠

وكان من قادة الحركة الرومانسية فى الأدب الفرنسى ، ومشهورا بمسرحياته ورواياته المليئة بالحركة والمغامرة والأحداث التاريخية ٠ ومن أشهر رواياته

« **الفرسان الثلاثة** » (١٨٤٤) ، و « **الكونت دى مونـت كريستو** » التى نشرت فى ١٢ مجلـــدا فى عامـــى (١٨٤٤ و ١٨٤٥) ، « **والزنبقة السوداء** » (١٨٥٠) ٠
وكلها من أشهر الأمثلة للأدب الرومانسى ، واستمتع بها الناس ومازالوا فى شتى أنحاء العالم بسبب ماتتضمنه من حبكة مثيرة وأبطال مغـــامرين مفعمين بالتفاخـر والطيش والتهور ونابضين بالحياة ٠

ولم يحصل دوماس الأب الا على دراسة رســـمية بسيطة ٠ وذهب الى باريس فى سن العشرين وأمن لنفسه وظيفة ككاتب فى أسرة دوق أورليانز ، الذى أصبح فيما بعد الملك لويس فيليب ٠

وبعد ماكتب مسرحيته « **هنرى الثالث** » (١٨٢٩) ، التى صور فيها النهضة الفرنسـية بألوانهـــا الزاهية ، ومسرحية «**نابليون بونابارت**» (١٨٣١) ، التى لعبت دورها فى خلق اسطورة من الامبراطور المتوفى حديثا . كرس حياته للكتابة ٠

وكانت طاقته هائلة ولنتاجه غزيرا جدا ، حتى أنه استعان بالعديد من المساعدين ليمدوه بالحبكات والخلفيات التاريخية لرواياته ، وبعبقريته كان يمنح لأعماله مسحة الخلود والبقاء ٠

وكان الاهتمام الرئيسى لدوماس الأب هو خلق قصة مثيرة تدور احداثها فى خلفية تاريخية وعادة ماتكون من القرن السادس عشر أو السابع عشر ومفعمة بالحيوية

وكان دوماس الأب ليبراليا ينادى بالحرية ، وكان له دور نشيط فى ثورة ١٨٣٠ ٠ وفى عام ١٨٦٠ انضم لجاريبالدى فى حملته لتوحيد ايطاليا ٠

وبالرغم من نجاحه العظيم وما حققه من كسب مالى كبير ، الا أنه كان غاية فى الاسراف ، فمات معدما تقريبا ٠

ومن بين أعماله الأخرى العديدة : دراسة عن نابليون ، وقصص للأطفال ، وكتاب فى الطبخ ، وسيرة ذاتية فى اثنين وعشرين مجلدا «مذكراتى» (١٨٥٢ –

١٨٥٥) • وغير ذلك ، حتى وصلت مؤلفاته لما يزيد على ٢٥٠ كتابا •

وقد ظهرت الرومانسية فى نهايات القرن الثامن عشر ، عندما بدأ الكتاب الفرنسيون يرفضون بالتدريج الكثير من مبادىء الكلاسيكية التى تتضمن التاكيد على الشكل والمنطق والوضوح • وبدلا من ذلك سلطوا الأضواء على اهمية الشعور والخيال الانسانى الشخصى لكل فرد • ولجاوا فى الهامهم الأدبى الى العودة للطبيعة ، والقرون الوسطى ، والموضوعات الغريبة والغامضة •

وكان من بين الأشكال الأدبية الرئيسية فى القرن التاسع عشر : قصائد الشعر الغنائى والرواية والدراما والقصة القصيرة • وكانت نظريات واعمال جان جاك روسو من بين المؤثرات الرئيسية الفرنسية ، بالاضافة الى ، الثورة الفرنسية نفسها وانتفاضتها العنيفة لاعادة تنظيم الحياة الفرنسية والمجتمع الفرنسى

فكانت الرومانسية اداة فى اعادة تقييم مشاكل الوجود وقيمه الأساسية ٠

ومن بين رواد الحـــركة الرومانســـية الفرنسية الأساسيين : **مدام دى ســتال** (١٧٦٦ ـ ١٨١٧) ، **شـــاتوبريان** (١٧٦٨ ـ ١٨٤٨) ٠ ولكن الـــروح الرومانسية الفرنسية بدأت فى الازدهار فيما بعد عام ١٨٢٠ ، فى اعمال شعراء القصائد الغنائية امثـال : **الفونس دى لامارتين ، فكتور هوجو ، الفريد دى موسيه، الفريد دى فينى** ٠ وتفوق عليهم **فكتور هوجو** فى أنـه كان روائيا أيضا ، واشتهر بروايته التاريخية « **أحدب نوتردام** » (١٨٣١) ، وروايته الاجتماعية « البؤساء » (١٨٦٢) ٠ وقام هوجو بخلع الكثير من القواعد التى كانت تتحكم فى الأدب الفرنسى فى القرن الثامن عشر خصوصا فى مسرحياته ٠ وسار دومـــاس الأب على غراره فى نفس الدرب ٠

وهناك الكثير من الروائيين المهمين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، امثال : جورج ساند التى

كان اسمها الحقيقى « اورور دوبن دوديفانت » والتى كتبت روايات حنونة عن الحب والطبيعة والمشاكل الاجتماعية ٠

وفى روايات مثل « **الأحمر والأسود** » (١٨٣٠) ، و « **دير بارما** » (١٨٣٩) حلل ستاندال طاقات الحب والطموح ووصفها برؤية سيكلوجية ثاقبة ٠

ويعد هو ومعاصره الذائع الصيت « **أونريه دى بلزاك** » (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) من رواد الواقعية الفرنسية الحديثة ٠

وبلزاك هو واحد من أعظم كتاب الرواية الفرنسية قاطبة وتحفته الفنية « **الكوميديا الانسانية** » وهى مجموعة من الروايات والقصص تبلغ ٩٥ تقريبا ، قدمت صورة حية مخلصة للمجتمع الفرنسى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ٠

وبلزاك هو أول روائى كبير يدعم حياة شخصياته وبيئاتهم بالتفاصيل الواقعية الدقيقة ٠ كما كانت

شخصياته فى نفس الوقت مأخوذة من شتى نواحــــى الحياة ٠

ومن بين الروايات المشهورة للكوميديا الانســانية « **ايوجين جرانديت** » (١٨٣٣) ، « **والأب جوريوت** » (١٨٣٥) ٠٠

وكان لشريان الواقعية الذى يســــرى فيهما وفى معظم أعمال بلزاك التأثير الكبير على اعمال الروائيين الفرنسيين فى أواخر القرن التاسع عشــــر ، مثل : **فلوبير ، وزولا** ٠

ومع منتصف القرن التاسع عشر بدأت«الرومانسية» فى انحسارها ، وبدأت « **الواقعية** » فى هيمنتها على الأدب الفرنسى وساهمت عوامل عديدة ، منها الســأم من الاسراف العاطفى للرومانسية ، والتأكيد على العلم والاهتمام المتزايد بالمشــاكل الاجتمــاعية ، فى بزوغ الواقعية ٠

وكان هدف الكتاب الواقعيين الفرنسيين وخصوصا الروائيين ، هو خلـــق وابداع صـــورة « **بورتريه** » موضوعية لا شخصية للرجل العادى وللحياة اليومية ٠

والآن ايها القارىء العزيـــز ادعوك للاســـتمتاع بقراءة « **رومانسية** » دوماس الأب « **الكونت دى مونت كريستو** » ٠

« **المترجم** »

(١) السفينة تعود لوطنها

ادموند دانتى :

فى الرابع والعشرين من مـــايو عـــام ١٨١٥(*) شوهدت السفينة « **فرعون** » وهى تقترب عـــائدة الى

(★) قبل هروب نابليون من جزيرة إلبا بقليل ٠

مارسيليا ولم يستطع احد السادة الموجودين على البر أن ينتظر حتى ترسو السفينة على الرصيف ، فقفز الى زورق صغير لملاقاة السفينة ٠

وعندما اقترب الزورق من السفينة ، ظهر شـاب الى جانب السفينة ، وكان على مايبدو القبطان ٠

وكان فى حوالى العشرين من عمره شعره وعيناه فى سواد الليل ٠٠ وله الصفات الهادئة لشخص اعتاد على مجابهة الاخطار فصرخ الرجل الذى فى الزورق :

ــ أوه ! ٠٠ أهذا أنت يادانتى ؟ ماذا حدث ؟

فأجاب الشاب :

ــ لقد حدث أمر محزن جدا ، ياسيد موريل ٠ اذ فقدنا قبطاننا الشجاع لكليرك ، عندمـــا كانت سفينتنا بالقرب من سيفيتافيشيا ٠

والتفت لرجاله وأعطى أمرا سـريعا ، ثم التفـت ثانية الى موريل ٠٠ .

كانت « **الفرعون** » هى سفينة **موريل** ، وكان **ادموند دانتى** هو الضابط الأول بعد القبطان ·

فقال موريل :

ـ حسن ياادموند ، لقد كتب علينا جميعا الموت فى يوم ما ، وعلى كبار السن أن يفسحوا المجال للشباب · والآن ، ماهى أخبار البضائع التى تحملها السفينة ··؟

ـ كلها فى أمان وبخير ، ياســيد موريل وهــى تستحق مبلغا كبيرا من المال · والآن ، اذا كنت ستصعد على ظهر السفينة ، فهاهو دانجلرز ، الذى يقوم بعمليات البيع والشراء كلها سأتركك معه لأن سفينتى فى حاجة الى ·

صعد موريل بسرعة على ظهر السفينة « **فرعون** » ·· وقام باستقباله دانجلرز فى الحال ·

الرسالة :

كان دانجلرز شابا فى حوالى الخامسة والعشرين

من عمره · وكان كل من وجهه وسلوكه بغيضين · ولم يكن يحبه أحد فوق ظهر« الفرعون » ·

قال دانجلرز :

– حسن يا سيد موريل ، لقد سـمعت عن النبأ المحزن بوفاة القبطان لكليرك ؟

– أجل · لقد كان رجلا طيبا وشجاعا ·

فاجاب دانجلرز :

– وبحارا ماهرا ، كبر فى العمر وفى الحكمة ، كما يجب على رجل يعمل لشركة موريل وولده ·

– ولكن المرء لايحتاج دائما أن يكـون كبيرا فى السن ليستطيع فهم عمله · فصديقنا ادموند يبدو انـه يعرف عمله جيدا ·

فقال دانجلرز ، وهو يلقى بنظرة على دانتى يظهر منها انه لا يحبه :

– أجل ، أجل ··· انه صغير فى السـن ، وهو

واثق من نفسه جدا ٠٠ فعندما مات القبطان ، تولى أمر السفينة بدون أن يسأل أى أحد وتسبب فى أننا فقدنا يوما ونصف عند جزيرة البا بدلا من القدوم مباشرة الى مارسيليا ٠

فقال موريل :

ـ أن يتولى أمر السفينة فهذا واجبه لأنه الضابط الأول ولكنه مخطىء فى أن يضيع الوقت عند البا اذا كانت السفينة آمنة ولا تحتاج لأى عمل يجرى عليها ٠

ـ السفينة كانت فى كامل حالتها ، ولكننا فقدنا الوقت من أجل الاستمتاع بالنزول على الشاطىء ٠

فصاح صاحب السفينة مناديا :

ـ دانتى ، تعال الى هنا ٠

فأجاب دانتى :

ـ دقيقة واحدة يا سيد موريل ٠

ثم أعطى أوامره لرجاله وتحـــركت الســـفينة ، ورست على الرصيف ، وتم وثاقها وأصبحت فى أمان ٠

وعندما تم انجاز كل شىء ، جاء دانتى الى موريل، وقال :

– ان السفينة جاهزة الآن ، وأنا تحت أمرك ٠

فتراجع دانجلرز عـدة خطـــوات للخلف ، وقال موريل :

– أود أن أسألك لماذا توقفت عند جزيرة البا ٠ ؟

– لا أدرى يا سيد موريل انه كان آخر أمر أعطاه لى كابتن لكليرك ٠ فعندما اقترب من الموت ، اعطانى رسالة الى المارشال برتراند !

فتلفت موريل من حوله ٠ ثم جذب دانتى بالقرب منه وأسر له قائلا :

– وكيف حال نابليون ؟

ـ فى حالة جيدة حسب ما رأيت !

ـ وهل تحدثت معه ؟

فقال دانتى :

ـ بل ، انه هو الذى تحدث معى لقد سألنى عن السفينة ، وعن وقت مغادرتنا لمارسيليا ، وعن البضائع التى تحملها · أو اذا لم يكن على السفينة بضـــائع · واذا كنت انا صاحبها ، أعتقد انه كان قد اشـتراها · ولكنـــى قلت لــه أننى مجرد ضــــابطها الأول ، وأن « موريل وولده » هما أصحابها · **فقال :** « آه ! ، انى أعرفهم فعائلة موريل أصحاب سفن لسنين عديدة ·· ولكن هنـــاك واحدا من عائلة موريل كانجنديا معى فى نفس السرية فى فالنسيا » ··

فصاح موريل مبتهجا :

ـ حقا ! انه بوليكار موريل ، عمى ، الذى أصبح فيما بعد قائدا فى الجيش · لابد يادانتى أن تخبر عمى

ان نابليون تذكره ، وسترى ان ذلك سوف يشعل عينى الجندى العجوز بالنيران ٠٠ لقد كنت على صـواب ، يادانتى ، ان تفعل ما امرك به القبطان لكليرك ٠ ولكن اذا عرف الناس انك قد اخذت رسـالة الى مارشـال برتراند وانك تحدثت مع نابليون ، فسـتكون العواقب وخيمة ٠

فسال دانتى :

ـ كيف ؟ ٠٠ اننى لم اكن اعـرف حتى ما كنت احمله ٠ ونابليون سالنى مجرد اسئلة قد يسالها لأى شخص ٠

زيارتان :

وسال مالك السفينة :

ـ حسن ، ياعزيزى دانتى ، هل انتهيت من عملك الآن ؟

ـ اجل ياسيد موريل ٠

ـ اذن ، يمكنك أن تاتى لتناول العشاء معى ؟

ـ شكرا لك ، ياسيد موريل ، ولكن زيارتى الأولى يجب أن تكون لأبى • هل تعرف كيف حال أبى ؟

ـ اعتقد انه بخير ، بالرغم من أننى لم أره اخيرا •

ـ اجل ، انه يحب أن ينطوى على نفسه فى حجرته الصغيرة •

ـ ان هذا يدل على أنه ، على الأقل ، لم يكن فى حاجة لأى شىء أثناء غيابك ، أليس كذلك ؟

فاجاب دانتى :

ـ كلا ، ان أبى عزيز النفس جدا ، واذا لم يكن لديه وجبة يوم ، فلن يطلب أى شىء الا من الله !

ـ حسن اذن ، بعد أن تقومْ بهذه الزيارة ، آمل أن اراك على الفور •

ـ شكرا لك مرة اخرى ، ياسيد موريل ، ولكن بعد لقائى بأبى فهناك شخص آخر يجب أن أراه •

– حقا يا دانتى ، لقد نســـيت ذلك طبعا تقصد مرسيدس الجميلة لقد جاءتنى ثلاث مرات لتسالنى اذا كنت قد سمعت أى شىء عن « **الفرعون** » ٠٠ اســمع يا ادموند ، ان فتاتك جميلة وتحبك جدا !

فقال البحار الشاب :

– انها أكثر من حبيبة الآن لقد وعدتنى بالزواج ٠

فقال صاحب السفينة :

– حسن ، حسن ، ياعزيزى ادموند ، لايجب على أن أضيع وقتك هل تريد أية نقود ؟

– كلا ، شكرا لك لقد أخذت كل مســـتحقاتى ٠٠ ثلاثة أشهر ٠

– انك لم تنفق نقودك يا ادموند !

– ان لى أبا فقيرا ٠

– أجل ، أجل ، أعرف أنك ولد بار ٠ والآن ، هيا لترى والدك ٠

ـ شكرا ، ياسيد موريل ، ··· هل تسمح لى باجازة لمدة أربعة عشرة يوما ؟

ـ لتتزوج ؟

ـ أجل ، أولا ، ثم الذهاب الى باريس ·

ـ طبعا ، طبعا · خذ المدة التى تحتاجها يادانتى · ولكن لابد أن تعود ثانية بعد شهر على اكثر تقدير ، لأن الفرعون لن تستطيع الابحار بدون قبطانها ·

فصاح دانتى طربا ، وعيناه تلمعان فرحا :

ـ بدون قبطانها ! هل ستجعلنى قبطان «الفرعون» حقا ؟

واردف وهو يمسك بيد صاحب السفينة قائلا :

ـ أوه ، ياسيد موريل ! اشكرك ، واقدم شكر كل من أبى ومرسيدس ·

ـ أيها الطيب ادموند · اذهب الى أبيك ، واذهب لرؤية مرسيدس ، وتعال الى بعد ذلك ·

ـ هل آخذك معى للشاطىء ؟

ـ كلا ، شكرا · سأبقى لأنهى بعض الأعمـال مع دانجلرز · هل كنت مسرورا منه خلال الرحلة ؟

ـ هل تقصد ، انه صديق طيب ؟ كلا ، أعتقد انه لا يقبلنى منذ أن تشاجرنا فى أحـد الأيام بالقرب من جزيرة مونت كريستو · واذا كنت تقصد ، هل قام بعمله جيدا ؟ ··· فليس هناك غبار عليه ·

ـ ولكن قل لى ، يادانتى ، لو كنت قبطان الفرعون، هل كنت تحب الابقاء على دانجلرز ؟

ـ اذا كان عمله يحوز قبول صـاحب الفرعون ويرضيه ، فسيرضينى انا أيضا ·

ـ حقا انك لشخص رائع ، يا دانتى !

ـ هل تسمح لى باستخدام زورقك ؟

ـ طبعا ··

- حسن يا سيد موريل ، مرة أخرى ، الف الـف شكر ·

تبعه صاحب السفينة بعينيه ، حتى رآه يصل الى الشاطىء ويغيب وسط الزحام · ووقف دانجلـرز فى الخلف ، يراقب الشاب أيضا وهو يبتعد ، ولكن بنظرة مختلفة تماما ·

(٢) أب وابن

الرجل العجوز :

عرج دانتى الى شارع ضيق ودخل منزلا صغيرا ·
وانتظر لحظة خارج الباب الموارب لحجرة أبيه ·

لم يكن الرجـــل العجوز قد سمع بعد بوصـــول
« الفرعون » **فصاح قائلا :**

– عزيزى ادموند ، ولدى ، ابنى ! لم اتوقعك ٠٠ اخبرنى بكل ماحدث لك ٠

– لقد مات القبطان لكليرك الطيب ، وحزنت كثيرا عليه ٠ لكن موريل اخبرنى بانى ســـاكون القبطان من بعده ٠٠ هل تعى ذلك ، ياابى ؟ تصور ! قبطان فى سن العشرين ، باجر ممتاز جدا ٠ اليس هذا فوق ما يحلم به بحار فقير مثلى ؟ ومع أول نقود احصـــل عليها ، سأعد لك منزلا جديدا ٠٠٠ ما الأمر ياوالدى ؟ الست بخير ؟

– أبدا ، لاشىء ٠ انها ازمة بسيطة وتعدى ٠٠

– انك تحتاج لطعام ، هل تشرب شيئا ٠ ايــن أجد ذلك لك ؟

فاجاب الرجل العجوز :

– لا يوجد شىء فى المنزل ٠ ولكنى لست فى حاجة لأى شىء ، يكفينى انك هنا ٠

ـ لقد اعطيتك مالا وفيرا عندما تركتك منذ ثلاثـة اشهر ٠

ـ اجل ٠ هذا صحيح ، ولكنك نسيت اننا كان لابد ان ندفع ماعلينا لصديقنا كاديروس ٠ لقـد طلب منى ذلك ، قائلا اذا لم ادفع ، فسيحصل على المال من السيد موريل ٠ ولهذا ٠٠٠ اعطيته له ٠

ـ ولكن هذا كان اكثر من نصف المبلغ الذى أعطيته لك ! وهكذا عشت ثلاثة اشهر بنصف المبلغ الذى أعطيته لك ٠ لماذا فعلت ذلك ؟ هاك ياأبى ، خذ هذا ، وابعث بأحد لشراء بعض الطعام فى الحال !

ووضع كل النقود التى معه على المنضدة ، اثنتى عشرة قطعة من ذهب ، وخمس أو ست قطع من فضة ، وبعض العملات الأخرى ٠

فقال الرجل العجوز :

ـ لا ، لا ، انا لا احتاج لكل هذا ٠٠ ولكن هاهو كاديروس ياتى ٠٠ لقد سمع بعودتك وجـــاء ليخبرك بسعادته لذلك ٠

ـ آه ! ان صوته يقول شيئا بينما هو يفكر تفكيرا آخر • لكنه جار ، ولقد ساعدنا ذات مرة ، لذا سنفرح برؤيته ••

وظهرت رأس كاديروس بشعره الأسود من الباب :•

كاديروس :

قال كاديروس :

ـ أهلا ! لقد عدت يا ادموند ؟

فاجاب دانتى ، وهو يحاول اخفاء شعوره الحقيقى :

ـ اجل ، أيها الجار ، ومستعد لمساعدتك بأى شكل •

فقال داكيروس ، مثبتا نظرة جائعة على الذهب فوق المضدة :

ـ لقد رجعت غنيا •

فقال دانتى ، مدركا النظرة :

ـ أوه ، هذا ·· انها نقود أبى ·· الآن ، ياأبى ضع نقودك ثانية فى الصندوق · لكن بالطبع ، اذا كان جارنا يريد أيا منها ، فسنكون سعداء لاقراضه ·

ـ شكرا لك · شكرا لك · ولكنى لست فى حاجة · لقد قابلت صديقى دانجلرز ، وأخبرنى بأنك عدت · لذا جئت لأستمتع بلقائك ·

فقال الرجل العجوز :

ـ ونعم الصديق أنت يا كاديروس !

وظهرت على وجه كاديروس نظرة شريرة قبيحة ، عندما **قال :**

ـ حسن ، سمعت أن موريل مسرور منك ، وأنك تأمل فى أن تكون القبطان القادم ، ربما ؟

ـ نعم · اعتقد ذلك ··· ولكن ، ياأبى العزيز ، بعد أن رأيتك واطمأننت عليك ، فـــلابد لى أن أذهب وأقوم بزيارة أخرى ·

– مع السلامة ياولدى العزيز · وربنا يبارك لك فى زوجتك ·

فقال كاديروس :

– زوجته ! انها ليست زوجته بعد · ان مرسيدس فتاة جميلة · والفتيـات الجميـلات لديهن العديد من المريدين · ولكن ، طالما انك ستكون قبطانا ···

فاجاب دانتى :

– لا ، انى افكر بطريقة أفضل منك فى النساء ·· وفى مرسيدس ·· وأنا على يقين ، سواء اكنت قبطانا أم لا ، فستكون دائما مخلصة لى ·

وغادر ادموند الحجرة · وانتظر كاديروس لعدة دقائق ، ثم ذهب هو أيضا ··· ليلتقى بدانجلرز ، الذى كان ينتظره على الناصية ·

قال كاديروس :

– لقد تركته لتوى ·

ـ هل تكلم عن أمله فى أن يكون قبطانا ؟

ـ لقد وعده موريل بذلك ٠

ـ لهذا فهو مسرور ٠ أليس كذلك ؟

ـ هذا بالتأكيد ٠ لقد قدم مساعدته لى ، وكأنه هو الرجل الغنى وأنا الجار الفقير ٠

فقال دانجلرز بهدوء :

ـ انه ليس قبطانا بعد ٠ ويمكننا ايقاف ذلك اذا رغبنا ٠ هل مازال على حبه لتلك الفتاة ؟

ـ أجل ٠ ولكنى اعتقد بأنه سيلاقى مشاكل عندها فكل مرة ألتقى بمرسيدس فى الآونة الأخيرة أجدها مع فرناند ٠ انها تقول أنه ابن عمها ٠

فقال دانجلرز :

ـ هيا بنا نذهب ٠ وسنتوقف عند حانة لاريزيرف لنحتسى شيئا ولنسمع ٠٠ ما سنسمعه ٠

ـ هيا بنا اذن ٠ ولكنك ستدفع ما سنحتسيه ٠

(٣) مرسيدس

فرناند ومرسيدس :

جلس دانجلرز وكاديروس على مائدة تحت شجرة ٠

وفى أحد المنازل ، على بعد حوالى مائة متر ، كانت تقف فتاة ، شعرها فاحم كالليل وعيناها سوداوان

رقراقتان كظلال الغابة الوارفة ويقف بالقرب منها شاب في حوالى العشرين من عمره · كان غاضبا ··· وخائفا ·

قال الشاب :

– مرسيدس ، لقد هل شهر مايو مرة أخرى · قولى لى ، هل حان الوقت لزواجنا ؟

– لقد جاوبتك مائة مرة يافرناند وكان الجواب دائما هو نفسه ·

– اذن قوليها مرة أخرى ··· قوليها مرة أخرى حتى أصدق أخيرا ماتقولين · قولى لى مرة أخرى ، انه بالرغم من أن والدتك جعلتنى أمل فى زواجك ، فانت لاتريدين · لقد لعبت بسعادتى ، وحياتى أو مماتى لاشىء يهمك ·· أوه ، لقد حلمت لعشر سنين أن أكون زوجك · وحياتى كلها بنيت على هذا الأمل ·

فقالت مرسيدس :

– اننى لم أقل لك مطلقا أن تأمل · ولم ألعب بك

مطلقا ·· وكنت اقول دائما ، انى احبك كأخى ، ولكن لاتتوقع منى اكثر من حب الأخت ·· ان قلبى ملك شخص آخر · اليس هذا صحيح ، يافرناند ؟

ـ نعم أعرف ، يامرسيدس · لقد قلتها لى كثيرا · ولكن ··· للمرة الأخيرة ··· هل قررت تماما ؟

فقالت الفتاة بهدوء :

ـ انى احب ادموند دانتى ·· ولن أتزوج أحدا غيره !

العـدو :

اخفض فرناند رأسه ، وكأنه قد هزم · ثم نظر اليها مباشرة فجأة وقال :

ـ ولكن ، اذا مات ··· ؟

ـ اذا مات ، سأموت أنا أيضا ·

ـ اذا كان قد نسيك · ؟

فصاح صوت مبهج من خارج المنزل :

ـ مرسيدس ! ٠٠ مرسيدس !!

فصرخت الفتاة التى أضاء الحب وجهها :

ـ آه ، انه لم ينسانى كما ترى ٠ انه هنا !

وركضت الى الباب ، **وفتحته وهى تقول :**

ـ هنا ، ادموند ، أنا هنا !

تعانق ادموند ومرسيدس ٠ ولفتهما أشعة شمس مارسيليا الذهبية ، مثل نور من السماء ٠٠ وكأنهما الوحيدان فى العالم كله !

ركض فرناند خارج المنزل ، هائما على وجهه ، **وهو يصيح :**

ـ أوه ! من سينقذنى من هذا الرجل ؟ يالى من أحمق !

وسمع صوتا يصيح فيه :

ـ فرناند ! الى أين تركض ؟

وتوقف الشاب فجاة · ورأى كاديروس جالسا مع دانلجرز على مائدة تحت شجرة ·

قال كاديروس :

ـ حسن ، هل أنت فى عجلة من أمرك لدرجة انك لا تلاحظ أصدقاءك ؟

توجه فرناند نحوهما ببطء · **وقال كاديروس وهو يلقى بنظرة غريبة على صديقه دانجلرز :**

ـ انه من أفضل البحارة فى مارسيليا ، وهو يحب فتاة جميلة اسمها مرسيدس · ولكن يبدو أن الفتـــاة الجميلـــة تحب الضـــابط الأول للفرعون ·· يبدو ان الضابط الأول للفرعون ، لديه عدو آخر ·

« **غدا أو اليوم التالى** » :

سأل دانجلرز :

ـ ومتى سيكون الزواج ؟

فأجاب فرناند :

– أوه · انه لم يحدد بعد ·

فقال كاديروس :

– كلا ، ولكنه سيحدث بكل تاكيد تماما كما سيكون دانتى قبطان الفرعون ··· أليس كذلك يادانجلرز ؟

فقال دانجلرز وهو يملأ الكؤوس :

– حسن ، دعونا نشرب فى صحة القبطان ادموند دانتى ، زوج مرسيدس الفاتنة ·

وخيمت نظرة بؤس وشقاء على عينى فرناند · وفى هذه اللحظة مر ادموند ومرسيدس وهما يسيران جنبا الى جنب ·

فصاح كاديروس ، ناهضا من على مقعده :

– هاى ! ادموند ، ألا ترى أصـــدقاءك ؟ أم أن كبرياءك تمنعك من التحدث معهم ؟

فأجاب دانتى :

ـ كلا ، يارفيقى العزيز ! انها ليست الكبرياء ، بل انها السعادة ٠ ان السعادة التى أنا فيها قد أعمتنى !

فقالت دانجلرز :

ـ آه ، حسن ، ونعم السبب ٠ متى سيكون الزواج؟

ـ فى أقرب وقت ممكن ٠٠٠ غدا أو اليوم التالى ٠٠ هنا فى لا ريزيرف ٠ نأمل أن تكون أنت وكاديروس مع الحاضرين ٠

فسأل كاديروس ، ضاحكا :

ـ وفرناند ؟ فرناند ، أيضا ؟

فقال ادموند :

ـ طبعا أخ زوجتى هو أخى ٠ فلن تكمل سعادتنا ٠٠٠ مرسيدس وأنا ٠٠٠ اذا لم يحضر حفل زواجنا ٠

وفتح فرناند فمه ليرد ، ولكنه لم يكن قادرا على التفوه بكلمة واحدة ٠

فقال دانجلرز :

– غدا أو اليوم التالى ! انك لفى عجلة من أمرك أيها القبطان ·

فقال دانتى :

– اننى لست قبطانا بعد يادانجلرز · ولكن،أجل،اننا فى عجلة من أمرنا لأننى يجب أن أذهب الى باريس ·

– الى باريس ! هل لك عمل هناك ؟

– انه عمل ليس لى · عندما كان القبطان لكليرك يودع الحياة فى نزعه الأخير طلب منى أن أقوم بعمل من أجله ·

فقال دانجلرز :

– أجل ، أجل ، فهمت ·

ثم أضاف ، محدثا نفسه :

– الى باريس ··· لتأخذ رسالة المارشال برتراند الى هناك بلا شك · اه ! لقد خطرت لى فــكرة ··

دانتى ، ياصديقى « الحميم » ، انك لسـت قبطان « الفرعون » بعد بالتأكيد !

ثم التفت الى ادموند ، الذى كان يسير مبتعدا ، وصاح فيه :

ـ رحلة موفقة !

فقال ادموند فى مودة الصديق :

ـ شكرا لك !

واستمر الحبيبان فى طريقهما السعيد ٠٠

السفالة :

صاح دانجلرز :

ـ ياولد ، احضر لى قلما وورقا !

فجاء الولد بذلك ٠ وقال كاديروس :

ـ انها لفكرة غريبة ٠ فهذا القلم سيصيب الرجل فى مقتل بتأكيد اكثر مما لو تربصت به ليلا مع خنجر !

وأراد فرناند أن يعرف **فسأل :**

ـ ماذا أنت فاعل ؟

فأجاب دانجلرز :

ـ سأقول لك ، لقد عاد دانتى لتوه من رحلــــة ، توقف خلالها عند جزيرة البا · اننا سوف نرســـــل خطابا لبعض المسئولين فى الحكومة ، قائلين أنه يقوم بدور العميل لنابليون ، ولاعادة نابليون مرة أخــــرى كحاكم لفرنسا بدلا من مليكنا الحالى ·

فصاح فرناند :

ـ سوف اكتب هذا الخطاب ·

ـ وعندئذ لن تحبك مرسيدس مطلقا · لا ، فمن الأفضل لى أن اكتبه أنا ··· بديى اليسرى !

وكتب دانجلرز :

« صديق للملك يؤمن بأن رجال الملك يجب أن يعلموا

بأن ادموند دانتى ، الذى يعمل على السفينة «فرعون»
أحضر معه من البا رسالة لأتباع نابليون فى باريس ٠
واذا تم القبض عليه ، فستجدون الرسالة معه ، أو فى
منزل أبيه ، أو فى حجرته على السفينة » ٠

ووضع الخطاب فى مظروف وكتب عليه اسم :
فيلفورت ،

ثم قال :

ـ وهكذا توطد الأمر ٠

فقال كاديروس :

ـ أجل ، توطد الأمر ٠ ولكنها سفالة لا مفر منها ٠
ومد يده ليأخذ الخطاب ٠

فألقى دانجلرز بالخطاب على الأرض ، قائلا :

ـ حسن ، اذن ، فلن نرسله ٠

فقال كاديروس :

ـ وهو كذلك · هيا بنا نذهب · ألن تأتى معنا يافرناند ؟

ـ كلا ، سأبقى هنا ·

وقام دانجلرز مع كاديروس متجهين نحو الميناء وعندما قطعا مسافة قصيرة ، تتطلع دانجلرز للخلف فرأى فرناند يلتقط الخطـــاب من الأرض ويركض فى اتجاه المدينة ·

باسم القانون :

أشرقت شمس الصباح فى صفاء وجمال فصبغت السماء بلون الذهب ·· وكانت قمـم امـواج البحـر البيضاء مثل الثلج الساطع ·

وأعدت وليمة مدهشـــة فى لا ريزيرف من أجـــل الزواج · وكثيرون من رجال السفينة الفرعون كانوا هناك ، واصدقاء آخرون لدانتى ، وكلهـــم كـانوا فى أفضل ملابسهم ·

ودلت الصيحات المرتفعة القادمة من الســاحة أن

موريل قد وصل · وفهم رجال « الفرعون » من ذلك أن دانتى سيكون قبطانهم القادم · كان الرجال يحبون دانتى حبا جما ، لذلك أخذوا يهتفون عاليا وطويلا ·

وسألت مرسيدس بصوتها الفضى الحلو :

– هل سنبدأ ؟ انها الساعة الثانية الآن ، وهـــم يتوقعوننا فى الكنيسة خلال خمسة عشر دقيقة ·

نهض الجميع وبدأوا يشكلون انفسهم فى صفوف

وجاء صوت رجل يطرق الباب ثـــلاث مـــرات ، ويقول :

– افتح ، باسم القانون !!

ودخل ضابط يتبعه اربعة جنود ·· وقال :

– أين ادموند دانتى ؟

فقال ادموند :

– هذا اسمى ، لماذا ؟

ـ لا استطيع أن اقول لك · ستعرف السبب فيما بعد ·

فقال دانتى :

ـ لا تخافوا أيها الأصدقاء الأعزاء · لابد أن هناك خطأ ما ، وسيصحح فى الحال · هذا كل شىء ، أنا متأكد ·

فقال دانجلرز :

ـ طبعا ، مجرد خطأ ، انا متأكد !

ونزل دانتى الى الساحة متبوعا بالجنود ·

وصرخت مرسيدس قائلة :

ـ فليكن الله معك ، يا أعز الأحباب !

ـ ومعك يامرسيدس يا أحلى الأحباب · سنلتقى فورا !

(٤) القـــاضى

« هل لك أعداء ؟ »

أخذ القاضى فيلفورت ورقة من أحد الرجال وقال :

ـ احضروا السجين ٠

فدخل دانتى ٠٠

– من انت ، وماذا تعمل ؟

فاجاب الشاب :

– اسمى ادموند دانتى ، واعمـل ضـابطا على السفينة الفرعون ، احدى سفن موريل ٠

– سنك ؟

– عشرون ٠

– ماذا كنت تفعل عندما تم القبض عليك ؟

وتحشرج صوته وهو يقول :

– كنت فى حفلة زواجى ٠

كان التفكير فى التحول من تلك السعادة الى هذا الحال اكثر مما يستطيع احتماله ٠

قال فيلفورت :

– فى حفل زواجك ؟ !

ـ أجل ٠ كنت فى يوم زفافى على الفتاة الجميلة التى أحببتها لمدة ثلاث سنوات !

فاصيب فيلفورت بالحزن والاكتئاب لسماعه ذلك ٠ ولكنه استمر قائلا :

ـ هل خدمت تحت امرة نابليون ؟

ـ كنت سالحق بواحدة من سفنه عندما سقط حكمه ٠

ـ لقد قيل انك رجل خطير وترغب فى اعادة نابليون للحكم مرة أخرى !

ـ انا ؟ خطير ! اننى لم اتعد العشرين من عمرى ٠ ولاعلم لى بهذه الأمور ، أو حتى افكر فيها ٠ هناك امور ثلاثة فقط افكر فيها : فأنا أحب أبى وأحب موريل ، وفوق الكل أحب مرسيدس ٠ هذا كل ماأستطيع أن أقوله لك !

ـ هل لك اية أعداء ؟

فقال دانتى :

– اعداء ؟ اننى لست مهما حتى يكون لى أعداء . لدى عشر أو اثنا عشر بحارا تحت امرتى ، ولكن اذا سألتهم سيقولون لك أنهم يحبوننى ... لا كأب ، لأنى أصغر من ذلك .. ولكن كأخ أكبر .

– انك ستصبح قبطانا قريبـا ، وأنت فى سـن العشرين فقط . وهاأنت تتزوج فتاة جميلة تحبك . ربما كان هناك عدو لك بسبب ذلك .

– لعلك على حق . فأنت تعرف الرجال أفضل منى

– هذه هى الورقة التى وصلتنى . هل تعرف هذا الخط .

وقرأ دانتى الورقة ، فخيمت سحابة حزن على وجهه ، **وقال :**

– كـلا . انى لا أعـرف هذا الخط . ولكن من الواضح أن هذا الرجل هو عدو لدود .

ورأى فيلفورت فى عينى دانتى مدى القوة الكامنة خلف هذه الكلمات اللطيفة ٠

وقال القاضى :

ـ والآن ، أجب على سؤالى ، لا كسجين لقاضى ، ولكن كرجل لرجل : ما حقيقة هذه الورقة ؟

ـ لا حقيقة فيها على الاطلاق ٠ وسأخبرك بالحقائق كما هى ٠ سقط كابتن لكليرك مريضا بعد مغـــادرتنا لنـــابولى فورا ٠ وفى اليوم الثالث اشتد عليه المرض جدا ، وشعر باقتراب الأجل ، فنادانى وقال لى : «عزيزى دانتى ، أطلب منك أن تعدنى بأن تفعل ما سأخبرك به ، انه أمر له أهمية قصوى ٠٠ بعد وفـــاتى ، ستصـــبح قبطانا ٠٠ اذهب الى جزيرة البا واسأل عن مارشـــال برتراند ٠٠ اعطه هذه الرسالة ، وربما سيعطيك رسالة أخرى ويخبرك الى أين تأخذها ٠ سوف تقوم بما كان يجب على أن أقوم به لو كنت حيا » ٠٠

ـ وماذا فعلت ؟

– فعلت ما طلبه منى ··· وما سيفعله اى شخص فى مكانى · ففى كل مكان من المعروف أن من واجب المرء أن يحقق رغبات انسان على فراش الموت ، ولكن بين البحارة فرغبات الضابط الأخيرة هى أوامر ·· وتوجهت الى البا · ونزلت الى الشاطىء بمفردى · وأعطيت الرسلة الى مارشال برتراند ، وأعطانى رسالة لآخذها الى شخص فى باريس · وجئت الى هنا ، وقمت بزيارة مرسيدس ، وأعددت للزواج · وكنت فى حفل زواجى فعلا · ونويت أن اتوجه الى باريس غدا ·

نوارتييه :

قال فيلفورت :

– آه ، تبدو أنك تقول الحقيقة · واذا كنت قد اقترفت خطأ ، فهذا لأنك لم تكن حكيما ، ولأن تلك هى أوامر قبطانك · سلم هذه الرسالة التى أحضرتها من ألبا ، وعدنى أن تمثل أمامى ثانية اذا طلبتك ، ويمكنك أن تعود لأصدقائك ·

فقال دانتى فى ابتهاج :

ـ هل اتاخر ، اذن ؟

ـ أجل ، ولكن اعطنى الرسالة أولا ٠

ـ لقد حصلت عليها من قبل ٠ لقد اخذوها منى مع رسائل أخرى التى اراها على المنضدة ٠

فقال فيلفورت بينما كان دانتى يصنع قبعته فوق راسه :

ـ توقف ٠ ما الذى كان مكتوبا على الرسالة ؟

ـ نوار تييه ٠٠ طريق هيرون ، باريس ٠

لو كان السقف قد انطبق فوق رؤوسـهم لما كان فيلفورت أكثر اندهاشا ٠ **وقال فى صوت ضعيف :**

ـ نوارتييه ! ٠٠ نوارتييه !!

ـ أجل ٠ هل تعرفه ؟

فاجاب فيلفورت :

ـ كلا ، فالخادم المخلص للملك لايعرف رجـــالا يرغبون فى تحطيم سلطة الملك وارجاع نابليون ٠

فبدأ دانتى يشعر بالخوف ، وهو يقول :

ـ هل هذا مايريدون؟لقد أخبرتك أننى لا أعرفشيئا عما فى الرسالة ٠

ـ أجل ، ولكنك تعرف اسم الشخص الذى ستعطى له الرسالة ، أليس كذلك ؟

ـ بالطبع ٠ لقد قرأت الاسم حتى أعرف لمن أعطى الرسالة ٠

فسأله فيلفورت ووجهه أبيض كالموت :

ـ هل أظهرت هذه الرسالة لأى أحد ؟

ـ لا ٠٠ أبدا ٠٠

وملأت النظرة المرسومة على وجه فيلفورت قلـب دانتى بالخوف ٠ قرأ فيلفورت الرسالة ، ثم غطى وجهه بكلتا يديه ٠

وفكر القاضى فى نفسه قائلا :

ـ أوه ! لو يعرف مافى هذه الرسالة · لو يعرف أننى غيرت غيرت اسمى وأن نوارتييه هو أبى ، لكشف أمرى !!

« **دعنى أتأكد** »

ثبت فيلفورت عينيه على دانتى وكأنه يقرأ أفكاره ثم قال :

ـ لا أستطيع أن أطلق سراحك على الفور ، كما كنت آمل · لابد أن اتحفظ عليك بعض الوقت · وسأحاول أن أجعلها فترة محدودة قدر الامكان · والشىء الوحيد ضدك هو هذا ·

وأخذ الرسالة من المنضدة ، وذهب الى النار وهو يقول :

ـ أنظر ، انتى أحرقها ·

فصاح دانتى :

– أوه ، انك رحيم جدا ٠

فقال فيلفورت :

– اسمع ٠ يمكنك أن تثق فى بعد ماقد فعلته الآن وستظل هنا حتى المساء ٠ واذا استجوبك أى شـخص آخر ، فلا تقل كلمة واحدة عن هذه الرسالة ، ولا تتفوه باسم نوارتييه !

– أعدك ٠

– هل هى الرسالة الوحيدة التى كانت لديك ؟

– أجل ٠

وقرع فيلفورت جرسه الصغير ، فدخل أحد الجنود،

وقال فيلفورت لدانتى :

– اتبعه ٠

وعندما أغلق الباب ألقى فيلفورت بنفســـه فـوق كرسى ، **وقال لنفسه :**

ـ أوه ، يا ابى ، هل لابد أن تقف فى طريق سعادتى دائما ؟ اذا عرف أمر هذه الرسالة ، لكانت النهـــاية بالنسبةبالنسبة لى . لابد لى أن أتأكد .. اتأكد تماما أن هذا الأمر لن يعرف على الاطلاق .. !

(٥) السجن

أين ٠٠ ؟! :

قاد الجنود دانتى الى غرفة صغيرة ٠ كانت نظيفة ، لكن نافذتها مغلقة بقضبان سوداء ٠

وجاء المساء ، وحل الظلام ٠ وجلس فى العتمة ،

ولكنه عند كل صوت ضئيل كان يقفـز مسـرعا الى الباب ٠

وفى حوالى الساعة العاشرة ، بدأ يفقد الأمل ٠ ثم سمع خطوات فى الخارج ، ومفتاحا يتحرك ٠

وأخذه ضابط وأربعة جنود الى الخارج ٠ ومروا عبر شوارع كثيرة الى أن وصلوا الى الشـاطىء ٠ فوجد مزيدا من الجنود هناك ، الذين نظروا اليه بفضول أثناء وضعه فى زورق ٠ وبعد برهة وجيزة تحرك الزورق داخل البحر المظلم ٠

وفى البداية ، اهتز دانتى طربا لاحساسه بهـواء الليل العليل ٠ ثم اعتصره الحزن عندمـا مر الزورق على لا ريزيرف فسألهم :

ـ الى اين تأخذوننى ؟

ـ ستعرف حالا !

ـ لكن ٠٠ !

ـ غير مسموح لنا بأن نجيب على اية أسئلة ٠

خطرت فى ذهن ادموند أفكار غريبة موحشة ٠

والزورق الصغير الذى هم فيه لا يمكنه أن يذهب فى رحلة طويلة ٠ ربما سوف يتركونه فى احدى المناطق النائية على الشاطىء ٠

لقد كان القاضى رحيما جدا معه ، ولقد أخبره بأنه لن يخاف شيئا اذا لم يذكر اسم نوارتييه ٠٠ ولقد احرق الرسالة أمامه ٠

وقبع دانتى فى صمته ، محاولا أن يسبر غور الظلام ببصره ٠ انهم ذاهبون الى عرض البحر ، بعيدا عن كل شىء كان غاليا وعزيزا عليه ٠

واخيرا التفت الى أقرب جندى له وامسك بيده ، وقال :

ـ أيها الصديق ، أرجوك أن تخبرنـــى أين نحن ذاهبون ؟ اننى ادموند ، بحار ، ورجل مؤمن بالله وبالملك اخبرنى بربك الى أين تذهبون بى ؟

– لقد ولدت فى مارسيليا ، وفى نفس الوقت بحار ولا تدرى أين انت ذاهب ؟

– لا أدرى على الاطلاق !

– انظر من حولك ، اذن !

نهض دانتى واقفا ونظر أمامه ··· فرأى على بعد أقل من مائة متر الشكل الأسود المخيف للصخرة التى يجثم فوقها سجن شاتو ديف · لقد بنى هذا السجن منذ حوالى ثلاثمائة سنة · ورويت عديد من القصص الغريبة عنه وعن المساجين الذين يذهبون اليه ولا يعودون أبدا · وبدا هذا لدانتى نهاية كل الآمال ·

شاتو ديف :

فصاح دانتى :

– شاتو ديف · ماذا سنفعل هناك ؟

فضحك الجنود ·· **وقال دانتى :**

– اننى لن أكون واحدا من مساجينه ؟ انه المكان

المخصص للمساجين الخطرين ، أعداء الملك · هل يوجد قضاة فى شاتو ديف ·· ؟

ـ لقد راك القاضى واستجوبك ·

ـ ولكن السيد فيلفورت وعدنى ··

ـ أنا لا أعرف ما وعدك السيد فيلفورت به ، ولكنى أعرف أننا نأخذك الى شاتو ديف ·

ـ ماذا انتم فاعلون ؟ ·· النجدة !!

وانفلت دانتى مندفعا للامام للالقاء بنفسه فى البحر ولكن أربعة رجال أشداء أمسكوا به · فسقط على ظهره صائحا محاولا التملص منهم ·

وصل الزورق الى الشاطىء · وقفز احد الجنود خارج الزورق ، وأمسك الثلاثة الآخـــرون بذراعيه ، وأجبروه على صعود بعض السلالم · كان كرجل فى حلم بل فى كابوس ·· ومر عبر أحد الأبواب ، الذى أغلق خلفه ، ولكنـــه رأى كل هذا وكأنـــه عبر غـــلالة من السحاب ·

وتوقفوا للحظة ·· وحاول أن يفكر ·· وتطلع الى ما حوله ·· كان فى ساحة لها جدران عالية من جميع الجوانب ·· وسمع أقدام الجنود وهى تسير حوله فى حراسته ·

انتظروا لحوالى عشر دقائق · وترك الجنود ذراعى دانتى ، وهم على يقين من أنه لن يستطيع الهروب ·

وصاح صوت أجش :

– أين السجين · اتبعنى !

تبعه السجين ، وقاده الرجل الى غرفة تكاد تكون تحت الأرض ، تسيل المياه على جدرانها فى قطرات عظيمة مثل الدموع · والقى المصباح ضوءا شحيحا حوله فأظهر وجه حارس السجن الذى أحضره الى هناك ·

قال الرجل :

– هذه هى غرفتك لليلة واحدة فقط ·· ان الوقت متأخر ، ومدير السجن نائم ·· غدا ، ربما ، سيضعك

فى مكان آخر · هناك خبز وماء ·· وبعض العشـــب اليابس لتنام عليه · تصبح على خير !

وقبل أن يستطيع دانتى أن يفتح فمـــه ، وقبل أن يلاحظ أين وضع الرجل الخبز والماء ، وقبل أن ينظر الى الركن الذى فيه فراشه ، كان الرجل قد اختفى ، آخذا معه المصباح ·

وأصبح دانتى وحيدا فى الظلام والسكون ··

الحارس :

ومع أول ضوء للنهار عاد الحارس بأوامر أن دانتى سيظل حيث هو · لقد وجد السجين كما تركه تماما · لقد أمضى الليلة واقفا بدون نوم ·

اقترب الرجل منه ، ولم يتحرك دانتى وكأنه لـــم يلاحظه ، فلمسه وربت على ذراعه مستفسرا :

ـ ألم تنمَ ؟

فأجاب دانتى :

ـ لا ادرى !

فنظر الحارس اليه قائلا :

ـ هل أنت جائع ؟

ـ لا ادرى !

ـ هل تريد شيئا ؟

ـ اريد أن ارى المدير ٠

فضحك الرجل ضحكة قصيرة ، وغادر الغرفة ٠٠

تبعه دانتى بعينيه ، ثم تلمس طريقه بيديه نحــو الباب المفتوح ، ولكن الحارس اغلقه فى الحال ٠

ثم احتدت مشاعره ٠ فالقى بنفسه على الأرض ، واخذ يبكى ويسأل نفسه ما الذى قد فعله لكى يعامل بهذا الشكل ٠

ومر اليوم ٠ ولم ياكل أى طعام ، لكنه اخذ يحــوم كالوحش فى القفص ٠

وفى الصباح التالى ظهر الحارس ثانية ، وقال :

– حسن ، ان شعورك أفضل اليوم · أليس كذلك ؟

فلم يرد عليه دانتى ·

– كن شجاعا يارجل · هل تريد أى شىء أستطيع أن أفعله لك ؟

– أريد أن أرى مدير السجن !

–هذا غير مسموح !

– ماهو المسموح ، اذن ؟

– طعام أفضل ، اذا دفعت مقابل ذلك ، كتب ، وأن تلف الساحة !

– أنا لا أريد كتبا · وهذا الطعام لا بأس به ·· ولا أريد أن ألف الساحة · ولكنى أريد أن أقابل مدير السجن !

– لا تطلب مالا يمكنك الحصول عليه ، والا ستجن فى غضون شهر !

ـ هل تظن ذلك ؟

ـ اعرف هذا ، فلدينا رجل هنا كان يعرض كنزا مهولا على المدير اذا اطلق سراحه · لقد كان فى هذه الغرفة قبلك ·

ـ ومتى غادرها ؟

ـ منذ سنتين ·

ـهل اطلقتم سراحه ؟

ـ كلا · لقد وضع فى غرفة تحت الأرض ·

ـ اسمع · أنا لست مجنونا · وربما سـاكون ، ولكنى حاليا عاقل · ولابد أن اقابل المدير ··

فصاح الرجل متراجعا :

ـ أوه ·· أوه ·· ! انك بالتاكيد ستجن · لقد بدأ السجين الآخر بنفس الطريقة · وفى غضون ثلاثة ايام ستعامل معاملة اكثر قسوة ، وبعدها ستوضع فى مكان تحت الأرض !

كان هناك كرسى بالقرب من دانتى · فقبض عليـه ورفعه فوق رأسه ·

فقال الحارس :

– أوه ! سوف ترى مدير السجن فورا ··

ومضى ، ثم عاد مع أربعة جنود ، وقال :

– بأمر المدير ، خذوا هذا السجين الى الغرفة التى تحت هذه تماما ·

فقال احد الجنود مستفسرا :

– التى تحت الأرض ؟

– أجاب يجب أن نضع المجانين مع المجانين ·

وأمسك الجنود بدانتـــى ، الذى ســـار بهدوء · وهبطوا خمس عشرة سلمة · وفتحوا باب غرفة وألقوه فيها ··

واغلق الباب ، وسار دانتى الى الأمام ، مادا يديه امامه متلمسا طريقه حتى لمس الحائط ··· ثم جلس فى الركن حتى تعودت عيناه على الظلام ·

كان الحارس على حق : لم يكن دانتى بعيدا عن الجنون التام ··

(٦) تحت الأرض

الضابط :

مر الوقت ، وقام كبير ضباط السجون بزيارة ٠

وسمع دانتى ، حتى من تحت الأرض ، اصـــوات التجهيزات والاعداد لاستقبال هذه الشخصية العظيمة

ان هذه الأصوات لايمكن أن تسمعها اى اذن فيما عدا أذن سجين ، ولكن مع مرور الوقت فسجين تحت الأرض يستطيع أن يسمع حتى نقطة الماء التى تسقط كل ساعة من سقف غرفته · لقد عرف أن شيئا غير عادى كان يحدث بين الأحياء ، ولكنه أصبح ليس له شـــأن مع الأحياء لمدة طويلة الآن ، حتى انه ظن فى نفسه أنــه ميت ·

قام الضابط الكبير بزيارة غرف العديد من السجناء الذين يفضلهم مدير السجن لأنهم لا يظهرون أية مشاكل ·· وسأل على كيفية اطعامهم ، واذا كانوا يريدون أى شىء ·

وكانوا يقولون :

ـ لا !

وماذا يريدون فيما عدا أن يطلق ســراحهم ؟ ·· وضحك الضابط وعاد الى مدير السجن قائلا :

ـ لا أدرى ما السبب الذى من أجله تقوم الحكومة

بهذه الزيارات · انها دائما نفس الشىء :.« الطعام سىء لم أفعل أى ذنب ، أنا برىء ، اطلق سراحى ·· هــل هناك شىء آخر ·· ؟!

– نعم.، يوجد السجناء المجانين والخطرين ·

– فلنزورهم يجب أن أرى الجميع ·

تقدم جنديان ، تبعهما الضابط وهبطوا السلالم · كان الهواء رهيبا ، والظلام بدا مليئا بالعفن ورائحــة الموت ··

فصرخ الضابط :

– أوه ! من يستطيع العيش هنا ؟

– انه رجل خطير لدينا أوامر أن نراقبه بكل شدة ·

– انه بمفرده ؟

– بالتأكيد ·

– كم مضى عليه هنا.؟

– حوالى عام ٠

– هل وضع هنا عند وصوله ؟

– لا ، بعد ما حاول قتل الحارس ٠

– قتل الحارس ؟ !

– نعم ٠٠ هذا الرجل الذى يحمل المصباح ٠ اليس هذا ماحدث ، يا أنطوان ؟

فاجاب الحارس :

– تمام ٠٠ لقد حاول قتلى !

– لابد انه مجنون ٠

– انه اكثر من مجنون ٠ انه سيء وخطير جدا ٠

فاستفسر الضابط قائلا :

– هل اكتب تقريرا عنه ؟

– أوه ، لا ٠ فليس منه فائدة ٠ سنة اخرى وسيكون قد فقد صوابه تماما ٠

فقال الضابط :

ـ ذلك سيكون افضل له · ستخفف معاناته ··

كان ، كما تدل عليه هذه الكلمات ، رجـلا عطوفا جدا ، وملائما لوظيفته بكل المقاييس ·

واجاب مدير السجن :

ـ انك على صواب ، وكلامك يدل على انك قـد فكرت فى الموضوع بكل عمق · وفى الغرفة الأخرى ، على بعد حوالى ستة أمتار ، لدينا زعيم أحد الأحزاب فى ايطاليا · انه موجود هنا منذ عام ١٨١١ ، وفى عام ١٨١٣ أصيب بالجنون ·· وهذا التغيير كان مفيدا له ·· انه الآن هادىء جدا ·

فقال الضابط الكبير :

ـ سوف أرى كليهما · لابد أن أقوم بواجبى !

السجين :

كانت هذه هى الزيارة الأولى للضـــابط الكبير · وأراد أن يظهر كم هو رجل عظيم ، **وقال :**

– رقم ٣٤ · فلنزور هذا السجين أولا ·

وعند صوت حركة المفتاح فى الباب ، رفع دانتى ، الذى كان جالسا فى الركن ، رأسه · رأى الغريب مع الجنود ، ولاحظ أن مدير السجن واقف وقبعته مخلوعة فى يده · فأدرك عندئذ أنه لابد أن يكون الزائر ضابطا كبيرا ، فقفز نحوه لملاقاته ·

فخطت الجنود نحوه وأجبروه على الرجوع وفهم دانتى أنهم أخبروا الضابط بأنه رجل خطير · فحاول أن يبدو لطيفا رقيقا قدر الامكان · وتحدث مع الضابط وحاول أن يتلمس شغاف قلبه · **وختم كلامه قائلا :**

– أطلب فقط أن أعرف ماهو الخطأ المفروض أننى ارتكبته ، وأن أمثل أمـام قاضى ، وأعرف ما سيحدث لى ·

فقال الضابط :

ـ سوف نرى ·

ثم التفت الى مدير السجن ، وقال :

ـ يجب أن تطلعنى على ماهو ضد هذا الشـــاب المسكين فى سجلاتكم ·

ـ بالتأكيد !

فقال دانتى :

ـ اعرف انك لا تقدر على اطلاق سراحى ، ولكن قل لى ، على الأقل ، أن هناك أملا ··

ـلا أستطيع أن أقول لك ذلك · كل ما أستطيع أن أعدك به هو أن أتقصى الموضوع · وأعرف من أصــدر الأوامر بدخولك السجن ؟

ـ مستر فيلفورت ··

ـ هل لديه أى سبب فى أن يعاديك ؟

ـ اطلاقا·· لقد كان رحيما جدا معى ·

ـ اذن ، يمكننى أن أثق فى أى شىء كتبه عنك ؟

ـ أجل ٠

وأغلقوا الباب ٠ ولكن بقى أمر ما فى الغرفة ، لم يكن موجودا من قبل ٠٠٠ الأمل !

فاريا :

قال مدير السجن :

ـ وهنا السجين الآخر ٠ ان جنونه من نوع آخر عجيب ٠ انه يعتقد بأن لديه كنزا عظيما ٠ لقد قـــدم للحكومة مبلغا كبيرا من المال لاطلاق سراحه ٠٠٠ آلاف وآلاف ، ثم ضاعف العرض أكثر من مرة ٠ انه سينحو بك جانبا ويقدم لك نفس العرض ٠

ـ ياله من أمر عجيب ! وما أسمه ؟

ـ فاريا ٠

فقال الضابط :

ـ رقم ٢٧ ٠٠

ـ أجل ٠٠ انه هنا ٠٠ افتح الباب ، يا أنطوان !
نظر الضابط داخل غرفة الرجـــل المجنون وألقى السؤال المعتاد :

ـ ماذا تريد ؟

ـ أنا ؟ لا أريد شيئا ٠

فقال الضابط :

ـ انك لاتفهم ، انني هنا من قبل الحكومة ، أقوم بزيارة جميع المسجونين لأرى اذا كانوا يحتاجون أى شيء ٠

فصرخ فاريا قائلا :

ـ أوه ، هذا أمر مختلف ٠٠ اسمى فاريا ٠٠ لقد ولدت فى روما ٠ وخدمت الأمير سبادا لمدة عشــــرين سنة ٠٠ وسجنت هنا ، لا أدرى لماذا ، فى عام ١٨١١ ٠ ومنذ ذلك الحين وأنا أطلب مرات ومرات أن يطلــــق سراحى !

- نعم ، نعم . ولكنى جئت لأســـألك هل تعامل معاملة حسنه فى هذا السجن .. الطعام ؟

- الطعام .. هو نفس الطعام فى السجون الأخرى .. سىء جدا . هذه الغرفة غير صحية بالمرة .. ولكن ماذا تتوقع من السجن ؟ .. ان هذه الأمور لا أريد أن اتحدث عنها . أريد أن اخبرك بشىء له اهمية قصوى !

فقال مدير السجن :

- طبعا .. اعرف مسبقا ماتريد أن تقوله . انه عن الكنز المخبوء ، أليس كذلك ؟

فثبت فاريا عينيه على مدير السجن بطريقة تجعل أى انسان آخر يؤمن بأنه ليس مجنونا على الاطلاق .

وقال :

- طبعا . وأى موضوع آخر سأتحدث عنه ؟

وبهذا انتهى الموضوع وقبع فاريا فى مكانـــه . وجعلتهم الزيارة اكثر يقينا بانه مجنون .

وحافظ الضابط على وعـــده لدانتى · ونقـب فى سجلات السجن فوجد **التقرير التالى** :

« ادموند دانتى ··

رجل خطير · ساعد فى عودة نابليون من البا ·

يوضع تحت أقصى مراقبة ممكنة »

ولم يستطع الضابط أن يعمل شيئا ازاء مثل هذا السجين ، **وكتب** :

– « لاشىء يمكن عمله » ·· !!



(٧) رقم ٣٤ ورقم ٢٧

صوت فى الحائط :

ومرت الأيام والأسابيع ، وبدأ دانتى يظن أن زيارة الضابط الكبير ما كانت الا حلما ٠

فى البداية ، كان يأمل أن يطلق سراحه فى غضون شهر ٠٠ ومر الشهر ٠ ثم أخذ يفكر **وقال لنفسه :**

– ان لديه سجونا أخرى يقوم بزيارتها ولن يفعل شيئا حتى يعود الى باريس ٠

لذلك قرر بينه وبين نفسه انها ستكون ثلاثة اشهر ومرت ثلاثة أشهر ولم يحدث شيء ٠٠

ومر الزمن ٠٠

أيام ٠٠ وأيام ٠٠ وأيام ٠٠

وفجأة فى أحدى الأمسيات ، حوالـــى الســـاعة التاسعة ، سمع ادموند صوتا فى الحائط الذى يرقد بجانبه ٠ فرفع رأسه وتصنت ٠ واستمرت الضـــجة ٠ كانت وكأن حيوان مخيف يزيح الاحجار ٠ ربما ماهو الا حلم من الأحلام ٠ ولكن لا ، انه لايـــزال يســـمع الصوت ٠ ثم سمع صوت سقوط شيء ما ٠٠٠ ثم خيم السكون ٠

وبعد ذلك بعدة ساعات ، بدأ الصوت ثانية ، بشكل أقرب واكثر وضوحا ٠ ثم دخل الحارس ٠ فخاف دانتى

أن يسمع الرجل الصوت ويضع حدا لآخر بصيص أمل له ٠

لقد أحضر له الحارس افطاره ٠ وبدأ دانتى يتكلم عن كل شيء : عن الطعام الردىء ، والغرفة الباردة ، متحدثا بصوت مرتفع وبغضب ٠ فوضع الحارس الطعام فوق المنضدة وخرج ٠

وتصنت ادموند ، وأصبحت الأصوات أعلى وأوضح ٠

ففكر :

ـ لاشك فى هذه الأصوات ٠ انه سجين يحاول الهرب ٠٠٠ أم أنه عامل يعمل تحت أوامر مدير السجن لا أكثر ؟ كيف أكتشف ذلك ؟

كان ضعفه لايساعده على التفكير ، وقال لنفسه :

ـ اذا كان عاملا ، وقمت أنا باصدار صوت على الحائط ، فسيوقف عمله لبرهة ليرى ماهو هذا الصوت ، ولكنه سيعاود العمل مرة أخرى على الفور ٠ ولكن اذا

كان سجينا ، فالصوت سيخيفه وسيتوقف عن العمل، ولن يعاوده مرة أخرى حتى يعتقد أن الجميع نيام ..

ذهب ادموند الى أحد اركان الغرفة وسحب قطعة حجر . وأخذ يضرب بها الجدار الذى يصدر منه الصوت وضربه ثلاث مرات .

فتوقف الصوت على الفور . ومرت ساعات ولـم يسمع أى صوت .

ومر النهار . فقال ادموند لنفسه فرحا :

ـ انه سجين .

ثم فى المساء ، بعدما قام الحارس بزيارته المسائية الأخيرة ، خيل له أنه سمع صوتا خافتا . فوضع أذنه على الحائط . لاشك أن هناك شيئا يحدث على الجانب الآخر . ولكن السجين أدرك أن هناك خطرا ، ويعمـل الآن بهدوء جدا .

الخشب :

أراد ادموند أن يقوم بالمساعدة ، وهو ممتلـىء

بالفرح · وبدأ بتحريك فراشه · ثم تطلع فى كل أرجاء الغرفة لشىء يستخدمه لحفر الحائط ولاخراج حجر من مكانه كل ماكان موجودا فى الحجرة هو سرير ، وكرسى ومنضدة ، وقدر به ماء · لم يكن امامه الا شىء واحد ليفعله ، ألا وهو أن يكسر قدر الماء (الذى كان قويا ومتينا جدا) ويستخدم احدى شقفه المدببـــة · وألقى بالقدر على الأرض بكل قوته ، فتكسر أشلاء · وأخفى قطعتين أو ثلاث لها أطراف حادة فى سريره ·

وعندما جاء الحارس فى الصباح التالى ، أخبـره أن قدر الماء سقط من يده عندما كان يشرب وغضـب الرجل لاهماله ، ولكنه خرج ليأتى بغيره ، ولم يعبأ بأخذ القطع المكسورة للقدر القديم · وعاد على الفور بقـدر جديد ، وقال للسجين أن يـــكون أكثر حذرا ، وغادر الحجرة مرة أخرى ·

سمع دانتى ، وهو فى قمة الفرح ، المفتاح وهو يغلق الباب · وانتظر حتى اختفى صوت أقدام الرجل ، ثم بدأ يعمل · كان الحائط رخوا بفعل عوامل الزمن ·

كان ينهار الى فتافيت صغيرة ، حقا ، ولكن بعد نصف ساعة أمكنه حفر قدر لا بأس به · ولو أنه عمل بهذه الدرجة من السرعة ، لكان أمكنه خلال السنتين أن يحفر ممرا تحت الأرض طوله ستة أمتار وعرضه نصـــف

فسأل نفسه :

– لماذا ضيعت كل تلك الساعات فى البكاء ؟

وأخيرا حصل على حجر من الحائط،فترك فراغا عرضه نصف متر · وجمع كل التراب والحجارة بحرص شديد وحملها الى اركان الغرفة وغطاها بتراب الأرضية · وأعاد الحرج الكبير ، وأعاد السرير لاخفائه قبل أن يأتى الحـارس بوجبة العشاء ·· وعندما جاء الحارس وذهب ، بدأ فى العمل ثانية ، واستمر طوال الليل · ولاحظ أن السجين الذى فى الجانب الآخر قد توقف عن العمل · حسن ·· فهذا سبب يدعو للاستمرار · واذا كان جاره لن يأتى فسوف يذهب اليه ·

وفى الليلة التالية بدأ العمل ثانية ·

وأراد أن يتأكد اذا كان جاره قد توقف عن العمل فعلا · فأخذ يتصنت ، فما كأن فى الوجود الا السكون ·

كان ذلك محزنا · فمن الجلى أن جاره لم يثق فيه · وأخذ يعمل طول الليل شاقا طريقه داخل الحائط · ثم جاء الى عائق فتوقف · كان هناك شـــيئا ما يقف فى طريقه لم يستطع قطعه أو تحريكه ·· فتحسسه ، وضرب عليه · انه خشب · كتلة خشبية ضخمة تعترض الحفرة التى حفرها دانتى تماما ··

« من أنت » ؟

لم يكن الشاب البائس ينتظر ذلك ، فقال فى تعاسة :

ـ أوه ، ياالهى ، ياالهى ! دعنى أموت · لقد فقدت كل الأمل ·

فقال صوت من تحت الأرض ، وكأنه صادر من قبر :

ـ من يذكر الله ومع ذلك يفقد كل الأمل ؟

فنهض ادموند على ركبتيه ، وقال :

ـ آه ! ·· صوت ·· صوت انسان !!

انه لم يسمع صوت انسان يتكلم منذ أن جاء الى السجن ، فيما عدا مدير السجن والضابط الكبير وحارسه ٠ والحارس بالنسبة للسجين ليس بانسان ٠ انه باب وليس أدميا ٠

فصاح دانتى :

ـ باسم رب السماوات والأرض ، تكلم ثانية !

فقال الصوت :

ـ من أنت ؟

ـ سجين بائس ٠

ـ لماذا أنت فى السجن ؟

ـ لم اقترف أى خطأ ٠

ـ وما هى التهمة المفروضة ؟

ـ انى حاولت مساعدة نابليون فى العودة لفرنسا ٠

ـ فى العودة ! ألم يعد موجودا ، اذن ؟

ـ لقد نفى الى جزيرة البا فى عام ١٨١٤ · كم مضى عليك هنا ، اذا لم تكن تعرف ذلك ؟

ـ منذ عام ١٨١١ ·

فصاح دانتى :

ـ أربع سنوات قبل دخولى الى هنا ·

فقال الصوت :

ـ لا تقم بمزيد من العمل · اخبرنى فقط ما مدى ارتفاعك ؟

ـ اننى منبسط على أرضة الغرفة ·

ـ وكيف تخفى الفتحة ؟

ـ خلف سريرى ·

ـ وعلى ماذا يفتح باب غرفتك ؟

ـ على ممر يؤدى الى الساحة ·

ـ أوه!انها كارثة·لقد كنت مخطئا··لقد انحرفت

خمسة أمتار من خطتى · لقد اتجهت الى جدار غرفتك بدلا من الجدار الخارجى للسجن ·

– اذن لقد كنت اقرب الى البحر ؟

– هذا ماكنت اأمل فيه ·

« أنا رقم ٢٧ »

– واذا مانجحت خطتك ونفذت من الجانب الآخر؟

– لكنتالقيت بنفسى فى البحر وحاولت السباحة الى احدى الجزر القريبة من هنا ·· جزيرة تيبولين أو جزيرة دوم ··

– هل تستطيع السباحة بهذا القدر ؟

– كان الله سيعطينى القوة · ولكن الآن تأجـــل الأمل ·

– تأجل ؟

– تأجل · والآن اخفى الفتحة التى عملتها اخفيهـا

بعناية · ولا تعمل اكثر من ذلك · وانتظر حتى تسمع منى ·

فصرخ دانتى قائلا :

ـ اخبرنى على الأقل من أنت ·· !

ـ أنا ··· أنا رقم ٢٧ ·

ـ الا تثق فى ، اذن ؟ .

وتخيل لادموند أنه سمع ضحكة من الرجل المجهول

فصاح ، خائفا أن يكون الرجل لايريد أن يتحدث معه ثانية :

ـ أوه ! اعدك بأنى لن أقول كلمة ، ولا كلمة على الاطلاق للحراس ·· ولكن أرجوك ·· أرجوك لا تتركنى وحيدا !

فقال الصوت :

ـ وهو كذلك · غدا !

وتراجع ادموند · واغلق الفتحة التى فى الحائط ، واخفى كل شىء بعناية ، وأعاد سريره الى مكانه ·

وجاء الحارس فى المساء · وكان دانتى فى سريره، مقتنعا أنه يستطيع بذلك حراسة الفتحة بشكل أفضل ·

وفى الصباح التالى ، بمجرد أن ازاح سريره بعيدا عن الحائط ، سمع صوتا · فركع على ركبتيه ، وقال :

– هل هذا أنت ؟ أنا هنا ··

– هل ذهب حارسك ؟

– أجل · ولن يعود حتى المساء · لدينا اثنتا عشرة ساعة ·

– يمكننى العمل ، اذن ·

وبعد ذلك بقليل سقطت الأرضية التى كان يسند دانتى كلتا يديه عليها · فالقى بنفســـه للخلف بينما هبطت كتلة كبيرة من الاحجار والاتربة فى الفتحة · ثم، من قاع الحفرة (التى لم يستطع ان يعرف مدى عمقها ظهر رأس الرجل وذراعاه ·· وتسلق داخل الغرفة ··

(٨) عالم من نبلاء ايطاليا

الصديق :

هد دانتى يديه للصديق الذى اشتاق إلى رؤيته مدة طويلة ، وكاد أن يحمله الى أن وصل به للنافذة ، ليرى وجهه بشكل افضل فى الضوء

كان رجلا صغير الحجم ، له شعر أبيض من المعاناة أكثر منه من الطعن فى السن · كانت عيناه غائرتين ، وله لحية طويلة لاتزال سوداء ·· كان يبدو وكأنه ليس لديه قوة بدنية كبيرة : ويظهر من سيمائه أنه رجل يعمل بعقله أكثر مما يعمل بيده · ولا شك أن الطريقة العاطفية التى استقبله بها دانتى قد حركت شغاف قلبه · وشكر ادموند على عطفه ، وبالرغم من أنه كان يعتصر ألما للعثور على غرفة أخرى ، بينما كان يأمل ان يعثر على الحرية والهواء الطلق ·

وقال :

– دعنا نرى اذا كان من الممكن اخفاء هذه العلامات هنا ·· لابد أن نتأكد من أن الحـــارس لن يتمكن من اكتشاف ممرنا السرى !

وذهب الى الفتحة ، وأخذ الحجر فى يديه ورفعه وكأن وزنه لاشىء يذكر · ثم ثبته فى مكانه **وقال :**

– لقد خلعت هذا الحجر من مكانه ولم يكن هذا ماتريد · ماذا كنت تستخدم فى عملك ؟

فأراه دانتى القطع المكسورة من اناء الماء ٠

فقال :

– أوه ، مسكين٠ان لدى أشياء أفضل من ذلك ٠ لقد صنعتها من أجزاء من السرير ٠ وحفرت بها ممرا لايقل عن ستة أمتار طولا ٠ وهى المسافة التى بين غرفتك وغرفتى ٠ ولكنى لم أرسم خطتى بشكل صحيح ٠ فالممر الذى حفرته لن يـؤدى بى الا الى السـاحة المملوءة بالجنود ٠

– لقد وصلت لهذه الغرفة ٠ وبها ثـلاثة جوانب أخرى ٠ ألا نستطيع ان نحفر مخرجا تحت واحد من هذه الجدران الثلاثة ؟ هل تعرف ماهو خارجها ؟

– واحد منها مبنى على صخرة ٠ فلا فائـدة فى العمل فى هذا الاتجاه ٠ وجدار آخر على الجزء السفلى من منزل مدير السجن ٠ واذا وصلنا اليه ، لقبض علينا بالتأكيد وهذا الجانب يطل ٠٠ لاأدرى على أين ؟ !

النافذة :

كان الجانب الذى ينظران اليه هو الجانب الذى فيه النافذة الصغيرة . وكانت مرتفعة فى الجدار جدا ، وصغيرة لدرجة لا تسمح الا لطفل نحيل أن ينفذ منها بالاضافة الى وجود قضبان قوية تجعل هذا أكثر صعوبة .

وسحب هذا الوافد المنضدة عبر الغرفة ، ووضعها تحت النافذة . ثم طلب من دانتى أن يتسلق عليها ، وان يضع ظهره على الحائط ويشبك كلتا يديه أمامه . ثم قفز « رقم ٢٧ » فوق المنضدة ، ومن هناك الى يدى دانتى ، ومنهما الى ظهر دانتى . ووضع رأسه خلال قضبان النافذة العايا ليرى كل ماهو خارج الحائط . وتراجع برأسه مسرعا ، وهو يقول :

ـ لقد اعتقدت ذلك !

ثم نزل مسرعا وبنفس السهولة التى صعد بها . واندهش دانتى على خفة رجل عجوز بهذا الشكل .

وقال رقم ٢٧ :

– هذا الجانب من غرفتك يطل على مايشبه الممر المكشوف ، حيث يوجد واحد من جنود المراقبة ليـــل نهار · لقد رأيت أعلى رأس الجندى · وهذا الذى جعلنى أرجع برأسى بسرعة · لقد خشيت أن يرانى ·

فقال دانتى :

– ما العمل اذن ؟

– العمل ، انت ·· كما تـــرى ، ليس فى الامكان الهرب عبر اى جدار من هذه الجدران

حياة فاريا :

تفحص دانتى مليا فى اندهاش هذا الرجل الـذى استطاع بهذه السرعة وهذا الهدوء أن يتخلى عن أمله الذى شد من أزره سنين طويلة ·

وقال أخيرا :

– قل لى من فضلك ، من انت ؟

فاجاب الآخر :

ـ بالتأكيد · اسمى فاريـــا · اننى ســـجين فى شاتوديف منذ عام ١٨١١ · وقبل ذلك قضـــيت ثلاث سنوات فى سجن فنستريل ·

ـ ولكن لماذا أنت هنا ؟

ـ ايطاليا ، كما تعلـــم ، مشـــتتة فى عدد من الدويلات المنفصلة الصغيرة ، وكل دويلة يحكمها حاكم منفصل ·· وكانت رغبتى أن أجعلها دولة واحدة تحت حكم ملك عظيم واحد · واعتقدت اننى قد عثرت على ذلك الملك العظيم ، ولكنه لم يكن الا أحمقا · لقد استمع لى فقط ، ليعرف خطتى ، ثم يحطمنى · والآن ربما هذا العمل العظيم لن يتم انجازه أبدا ·· لقد بدأ نابليون فى أن يجعل ايطاليا دولة واحدة ، ولكنه لم يستطع أن يكمل عمله ·

ثم اردف الرجل العجوز قائلا فى حزن عميق :

ـ لقد اصيبت ايطاليا بسوء الحظ !

قال دانتي :

ـ أود لو انك اطلعتني على الممر الذي أقمته ٠

فقال فاريا :

ـ اذن ، هيا اتبعني !

ثم دخل الممر المحفور تحت الأرض ، والذي اختفى فيه فورا ٠

ولحقه دانتي ٠٠

(٩) غرفـــة فاريـــا

الحكمة :

نفذ الصديقان بسهولة ويسر داخل هذا الممر المخفى ورفع فاريا حجرا فى الأرضية ، ثم تسلقا صاعدين الى عرفته ٠

وعندما دخل دانتى الغرفة تطلع من حوله باندهاش ، ولكنه لم يلاحظ أى شىء غير عادى ، وقال :

ـ هناك شىء لا أستطيع أن أفهمه ، وهو كيف وجدت الوقت لتفعل كل هذا خلال ضوء النهار ٠

ـ انى أعمل فى الليل أيضا ٠

ـ فى الليل ؟ هل عيناك مثل عينى القط ؟ هل تستطيع أن ترى فى الظلام ؟

ـ لا ٠٠ بالطبع لا ٠٠ ولكن الله قد وهب الانسان عقلا لكى يمده باحتياجاته ٠ لقد صنعت مصباحا لنفسى

ـ صنعت مصباحا ! لكن اخبرنى كيف حصلت على زيت المصباح ؟

ـ حصلت على الزيت من الطعام ، ويشتعل بطريقة ممتازة جدا ٠ هاهو مصباحى ٠

واخذ دانتى يتفحص المصباح ٠٠

كانت كلمات فاريا مليئة بالعلم والحكمة ٠ فجلسا

يتحدثان · واخذ دانتى يستمع اليه مبهورا · كان يتكلم احيانا عن اشياء يعرفها دانتى جيدا كبحار · واحيانا لم يستطع ادموند دانتى أن يفهم الأمور التى يتحدث عنها اطلاقا · وطلب دانتى منه قائلا :

– هل تعلمنى قدرا قليلا مما تعرفه ، حتى لأتمل منى ؟ اعتقد تمام الاعتقاد أن انسانا عالما مثلك سيكون سعيدا أن يكون وحيدا اكثر أن يجالس شخصا يكاد لايعرف شيئا · والآن ، اذا كنت انا مستعدا للتعلم وانت للتعليم ، اذن ، ستمر الساعات بالنسبة لك فى مزيد من السهولة !

فقال فاريا :

– آه ، ياولدى ، كل مايعلمه البشر يمكن تعلمه بسرعة جدا ، فلن يستغرق نقل كل ما اعلمه لك أكثر من سنتين ·

فصاح دانتى :

– سنتين ! ·· هل تقصد فعلا اننى استطيع فى سنتين أن اتعلم كل ماتعرفه ؟

ـ فى الحقيقة ، يمكنك أن تتعلم الحقائق · ولكن ان تتعلم شيئا وأن تعرف فذلك شىء آخر · لتعرف كل هذا ، لتفهم وتدرك المعنى وتستخدمه ليكون نبراسا فى حياتك · فهذا عمل العمر كله ·· فكل يوم ، حتى تغرب الشمس على آخر يوم لى على الأرض ، سأظل أتعلم ·

فسأله دانتى :

ـ ماذا ستعلمنى فى البداية ؟ ومتى سنبدأ ؟

فأجاب الرجل العجوز :

ـ فى التو واللحظة ، اذا أحببت !

كان دانتى يتمتع بسرعة الفهم ، وعندما يتعلم شيئا لاينساه · فتعلم من فاريا بسرعة وبسهولة · تعلم تاريخ العالم ، واللغة الانجليزية ، وأشياء كثيرة أخرى ·

ومر الوقت · وأصبح دانتى رجلا جديدا · ولكن الوضع بالنسبة لفاريا كان مختلفا · فبالرغم من أنه وجد متعة عظيمة بصحبة دانتى وتعليمه ، الا أنه كان يزداد

حزنا كل يوم ·· كان يبدو أن فكرة واحدة تشغل ذهنه دائما ·· فكان يجلس أحيانا صامتا لمدة ساعات ·· ثم يبدأ فى أن يذرع الغرفة الضيقة ذهابا وايابا · وأخيرا أظهر لدانتى خريطة كان قد رسمها لهروبهما ·· وكانت تبين غرفته وغرفة ادموند والممر السفلى الذى بينهما · ومن هذا الممر السفلى الحالى ، كان يقصد أن يقوم بعمل ممر آخر يسير تحت الممر الذى يمشى فيه الجنود فى الخارج · وكان هذا الممر مصنوعا من حجارة كبيرة ·

وقام بالشرح قائلا :

ـ سوف نزيل كل الأرض من تحت أحد هذه الأحجار حتى تصبح جاهزة للسقوط · وسنسند الحجر بقضيب (سنصنعه من هذه القطعة التى تحت المنضدة) حتى يحين الموعد الذى نكون فيه جاهزين للهرب · عندئذ سنزيح القضيب · وعندما يضع الحارس قدمه على الحجر ، سيسقط فى ممرنا · سنقبض عليه ، ونحكم وثاقه حتى لا يستطيع أن يتحرك أو يصيح · وسيكون

من الممكن النزول الى البحر ، ومن هناك لابد أن نسبح الى احدى الجزر المجاورة ٠٠ !!

مرض خطير :

شرعا يعملان فى اليوم التالى ٠ ولم يوقفهما أى شىء سوى الحاجة للرجوع لغرفتيهما قبل الوقت الذى يزورهما الحارس دائما فيه ٠ ولقد تعلما أن يلتقطا أدنى صوت لاقدامه أثناء نزوله السلالم ، فكانا جاهزين له دائما عندما يأتى ٠

أما الاتربة التى كانا يحفرانها فكانا يســـحقانها ويجعلناها كالبودرة ويلقيان بها من النافذة فتتطاير مع ريح الليل ٠

واخيرا اكتمل هذا الممر السفلى ، ووضع الحجر جاهزا للسقوط عندمـــا يحين الوقت ٠ وكانا يمكنهما سماع اقدام الجندى أثناء سيره ذهـــابا وايابا فوق رأسيهما ٠

واصبح عليهما الآن ان ينتظرا ليلة مظلمة تمامـا

لتساعدهما على الهرب ·· وكان خوفهما الذى لايوصف هو أن يسقط الحجر قبل الوقت المناسب ·· كان دانتى مشغولا فى تثبيت قطعة أخرى من الخشب تحت هذا الحجر · وكان فاريا موجودا فى غرفة ادموند · وفجأة سمع ادموند صرخة توجع وألـم ·· فأسـرع اليه ، فوجده واقفا فى منتصف الغرفة ، ووجه أبيض بياض الموت · فصرخ دانتى :

ـ ما الأمر ؟ ماذا حدث ؟

فأجاب فاريا :

ـ أسرع ! استمع لما سأقوله لك ·· !

وتطلع دانتى فى خوف واندهاش الى وجه فاريا · فكانت عيناه معتمتين ، ومن حولهمـا حلقات زرقـاء غائرة · وكانت بشرته مثل بشرة الرجل الميت ·

قال فاريا :

ـ اسمع · انها نوبة لمرض مخيف ينتابنى قد يودى بحياتى · أستطيع أن أشعر به وهو يستحوز على بسرعة

لقد حدث لى نفس الشىء قبل عام من دخولى السجن ·
ليس هناك مانفعله الا شيئا واحدا · ساعدنى فى الرجوع
الى غرفتى اثناء وجود بعض القوة فى · اسحب أحد
أرجل السرير ، وستعثر على جحر فيه قنينة صغيرة
مملوءة بسائل أحمر ·

كان دانتى معتادا على التعــامل مع الاخطــار
الفجائية · وبينما كان الرجل العجوز لايزال فى حديثه ،
أسرع فى سحبه الى الممر السفلى ، ومنه الى غرفــة
فاريا ، حيث أرقده على السرير ··

وقال الرجل المسكين ، الذى أصبح باردا وكأن دمه
قد تجمد :

– شكرا لك · يجب أن أحكى لك عن هذا المرض ،
عندما يصل الى أعلى مداه ، أرقد بلا حراك وأصبح
باردا كالميت · وعندئذ ، وليس قبلها ، افتح فمى بقوة
واسكب فيه ثمان أو عشرة نقط من السائل · فربمــا
أتحسن ثانية ·

لم يستطع الحديث اكثر من ذلك · وظهرت على وجهه مسحة الموت الرمادية المخيفة ·

وانتظر دانتى حتى بدت الحياة وكأنها تفارق جسد صديقه · عندئذ ، أخذ سكين فاريا ، وفتح فمه عنوة وسكب تسع نقط من السائل · ثم انتظر ، فى فـزع ، ليرى ما قد يحدث ·

ومرت ساعة ، بلا تغيير ، ولا أثر لعودة الحياة · ثم بدا أخيرا يدب لون الحياة الرقيق ويخضب بشرته · وبدت العينان المعتمتان تظهران بعض الحياة · وبعدها حاول المسكين الحركة ·

« لا تفقد الأمل » :

لم يكن الرجل المريض قـادرا على الحديث بعد ، ولكنه أشار الى الباب ، والخوف فى عينيه · وتصنت دانتى ، فسمع خطوات الحارس بوضوح · لقد جعـل ادموند ينسى كل احساس بالوقت ··

فانتفض الشاب قافزا الى فتحة الممر الذى تحـت

الأرض ثم اعاد الحجر فوق الفتحة وأسرع الى غرفته ٠ وبمجرد وصوله اليها ، فتح الحارس الباب ودخـــل ، ورأى سجينه جالسا كالمعتاد على جانب سريره ٠

ترك دانتى الطعام الذى احضره الحارس دون أن يلمسه ٠ وعندما استدار المفتاح فى الباب أسرع عائدا الى غرفة فاريا ٠ ورفع الحجر بالضغط عليه برأسه ، وعاد فى الحال بجانب سرير الرجل المريض ٠

عاد فاريا الى الاحساس بما حوله ، واستطاع أن يتكلم ، لكنه كان لايزال ضعيفا خائرا ٠

قال لدانتى :

– لم أتوقع أن أراك ثانية ٠

فسأله الشاب :

– ولم لا ؟ هل ظننت انك ستموت ؟

– لا ٠ لم أفكر فى ذلك ٠ لكنى أعرف أن كل شيء معد لهربك ، وظننت انك انتهزت الفرصة وهربت ٠٠

فبدت علامات العتاب على عينى دانتى ، وهو يقول :

– هل ترانى خسيسا لهذه الدرجـــة ، فتعتقد أن أهرب من غيرك ؟

فقال الرجل العجوز :

–لم يكن عقلى صافيا · لقد هدنـى هذا المـــرض وتركنى ضعيفا بشكل مخيف ·

فقال دانتى :

– لا تفقد الأمل · ان قوتك ستعود ·

وأثناء حديثه ، جلس على السرير بجانب فاريا ، وأخذ يدلك له يديه الباردتين ·

فقال فاريا :

– لا ، نوبتى المرضية الأولى ظلت نصف ساعة فقط · وعندما انتهت شعرت بالجوع ··· ولا شــىء آخر · ونهضت من فراشى بدون مساعدة · أما الآن ، فلا أستطيع أن أحرك ذراعى أو ساقى اليمنى ، مع وجود

ألم فظيع فى راسى والنوبة القادمة اما أن تقتلنى أو تفقدنى القدرة على الحركة تماما ·

فصاح دانتى :

ـ لا ، لا ! لن تموت · عندما تأتى نوبة مرضـــك الثالثة ، اذا كانت ستأتى ، ستكون حرا طليقا · وسنكون مستعدين بشكل أفضل فى المرة القادمة لانقاذك ، لأنه سيكون لدينا كل المساعدة المطلوبة ·

فأجاب فاريا :

ـ ياعزيزى ادموند ، لاداعى للمبالغة · لقد قرر هذا المرض أننى يجب أن أبقى داخل جدران الســـجن للأبد · فالمرء يمكنه الهرب من الســـجن فقط اذا كان يستطيع المشى ·

ـ كلا ، ربما لأنك لست مؤهلا للهرب الآن ، ولكن لاداعى للعجلة · لقد انتظرنا طويلا ، ويمكننا أن ننتظر أيضا قليلا بكل سهولة ··· أسبوع ، شهر ، شهران اذا اقتضت الضرورة ·· وفى غضون ذلك ستكون معافى

وقويا تماما ، وما علينا الا أن نقرر فى الوقت المناسب ، وسيكون ذلك فى أول دقيقة تشعر فيها بالقـــدرة على السباحة ٠

فأجاب فاريا :

ـ لن أسبح ثانية ابدا ٠ لقد فقدت القـــدرة على تحريك هذا الذراع ، الى الأبد ٠

ـ وكيف يمكنك التأكد من ذلك ؟ وحتى اذا لـــم تستطع السباحة ، فسأحملك على ظهرى وأسبح لى ولك وأنا سباح ماهر ٠

فقال فاريا :

ـ يابنى ، أعرف أنك بحار وسباح ماهر ، ولكنك لابد أن تعرف أن المرء بمثل هذا الحمل لايمكنه أن يقطع اكثر من مائة متر ٠ انك شاب وقوى ٠٠ فلا تضـــيع الوقت معى ٠ ولكن أذهب ، اذهب !!

فقال دانتى :

ـ شكرا لك ٠ والآن اسمع آخر كلام لدى : أعد ،

بسم الله ، أن اظل معك طالما فيك نبضة حياة ، ولن يفرق بيننا سوى الموت ٠

وتطلع فاريا بكل حب الى صديقه الشاب ، وقرأ على وجهه صدق وقوة مشاعره ٠ وقال بهدوء ، مادا اليد الوحيدة التىلايزال يقدر على تحريكها :

ـ ألف شكر ، يابنى ٠ ربما أظهر لك فى أحد هذه الأيام شكرى لك على كونك صديقا حقيقيا لى ٠ والآن ، طالما أنى لا أستطيع ، وأنت لاتريد مغادرة هذا المكان ، فلابد من تغطية المخبأ الذى تحت الممـــر ٠ فقد يلاحظ الجندى الصوت الناتج من خطواته على ذلك الحجـــر ويبلغ الضابط عنه ٠ وعندئذ يكتشفوا عملنا ، ويفرقوننا عن بعضنا البعض ٠ أرجع غدا الى هنا بعد ماينتهـى الحارس من زيارتك ٠ لأن لدى أمرا هاما جدا لأخبرك به ٠

أخذ دانتى يد فاريا بين يديه وضغط عليها ٠ ثم ذهب الى العمـــل الذى يجب أن ينجزه فى نهاية ممر الهروب ٠٠

(١٠) قصـــة الكنز

قطعة من الورق :

عندما عاد دانتى الى غرفة فاريا فى الصباح التالى وجده يبدو أفضل قليلا · ولم يتكلم فى البداية ، لكنه أعطى لدانتى قطعة صغيرة من الورق الممزق مكتوب عليها بقايا كلام على النحو التالى :

في الخامس والعشرين من مايو، طلب
سيزار بورجيا، وخفت أن
لكي يحصل على كل
الأمير كابرا، و
ورغبتي أن كل ما الذي
وخالي إلى جويدو سبادا
في مكان يعلمه، و
وهو في جزيرة مونت
ذهب ومال وجوهرات
الصخرة الثانية والعشرون من
الذي في الشرق. وهناك
يهبط تحت الأرض.
الحجرة الثانية: و
في الركن الشمالي

سيزار
٢٥

فساله ادموند :

ـ ماهذا ؟

فأجابه الرجل العجوز :

ـانظر اليها ٠

ـ لقد نظرت اليها ، انها ورقة محترقة بها كتابة بلون غريب ٠٠

ـ يمكننى أن أخبرك الآن معنى هذه الورقة بعد أن تحققت من أنك رجل طيب ومخلص ٠ ان هذه الورقة هى كنزى ، ومنذ هذه اللحظة فنصف هذا الكنز لك ٠

فقال دانتى ، وهو لا يدرى كيف يجيب :

ـ كنزك ؟ !

فأجاب فاريا :

ـ أجل ، ان لك قلبا شغوفا نقيا بالفعل ياادموند ،

وأرى ما تفكر فيه · ولكن تأكد من هذا : انا لســـت مجنونا هناك كنز بالفعل !

أخذ ادموند قطعة الورق ، ونظر اليها مرة أخرى · كان نصفها قد احترق وتلاشى ، وقال :

– لا أستطيع أن ارى أى شىء ســوى ســطور ناقصة وكلمات مقطوعة لا تعطى أى معنى ، وليس من السهل قراءتها بسبب الحروق ·

– انها لم تكن سهلة بالنســبة لى ، ياصـــديقى ، ولكنها أصبحت سهلة لأنى درستها على مدى أيام طويلة ·· لقد ملأت الكلمات الناقصة وأكملت معناها كله ·

– وهل تعتقد أنك فهمت مضمونها ؟

– انى على يقين من ذلك · وستحكم بنفسك · ولكن استمع أولا لتاريخ هذه الورقة ·

التاريخ :

قال فاريا :

ـ تعرف ، اننى كنت صديقا للأمير سبادا ومساعدا له ، وهو آخر سلالة عائلته · كنت سعيدا جدا معه · لم يكن ثريا ، بالرغم من أن أسرته كانت فى وقت من الأوقات مشهورة بثرائها الهائل · بل هناك ، فى الواقع مثل شائع يقول : « غنى مثل ثراء سبادا » · ولكنه كان يتحكم فى أملاك قليلة ·

لقد اعتدت أن أشاهد الأمير يدرس الكتب العتيقة ، وينقب فيها ويبحث بين أوراق الأسرة · وسألته ذات يوم لماذا كان يفعل ذلك · فتطلع الى ، ثم ضحك ضحكة حزينة ، وفتح كتابا عن تاريخ مدينة روما · وفى ذلك الجزء من الكتاب الذى يحكى عن حياة سيزار بورجيا كانت توجد هذه السطور ، التى لا استطيع أن أنساها أبدا ·

« احتاج سيزار بورجيا للمال ليقوم بتنفيذ حروبه · لم يكن من السهل الحصول على المال فى ذلك الوقت ،

لأن الحروب الطويلة قد أرهقت البلاد وتركتها فى حالة يرثى لها • وفى النهاية فكر فى خطـــة • كان هنـــاك أميران : روز بليوزى ، وسبادا ، ذاع صيت ثرائهما الفاحش • فدعاهما سيزار بورجيا على العشاء • ونصب المائدة فى حديقته • ابتهج روز بليوزى بهذا الشرف ، وارتدى وتزين بأحلى ما عنده •

أما سبادا فكان رجلا حكيما • كان يعــرف ماذا يعنى هذا العشاء : ان معناه المـــوت الأكيد • وقبــل مغادرته ، كتب ملحوظة صغيرة • لقد عرف أن الموت كان كامنا فى الشراب الذى أمامه • ولكن الموت موجود أيضا خارجها اذا لم يشرب • فشرب سبادا • ومات خارج الحديقة •

واستولى سيزار بورجيا عندئذ على كل شىء • لقد أخذ جميع أوراق الرجل الميت ، وتلك الورقة التى قــد كتبها قبل وفاته مباشرة :

« اعطى كل ما أملك لابن أخى ، كل مالى وكل كتبى ،

ومن بين الكتب ، كتاب دعواتى الموشى بالذهب · أملى أن يحتفظ بكتاب الدعوات هذا ، ولا يفرط فيه ، لعلــه يساعده على تذكر عمه الذى يحبه ، بحث سيزار فى كل مكان ، لكنه لم يكتشف شـيئا · كانت هنـــاك بعض الأوانى الذهبية ، وبعض المجوهرات ، ومبلغ ضئيل من المال ، لايفيده وكان هذا كل شىء ·

وضاع كنز أسرة سبادا ، ان كان هناك أى كنز · لقد اختفى ببساطة ·

وفى النهاية ، طرد سيزار بورجيا من رومـــا · واعتقد الناس أن كنز أسرة سبادا سوف يظهر ثانية · ولكن ذلك لم يحدث · وظل أفراد أسرة سبادا فقراء ، فقال الناس ربما سيزار بورجيا قد عثر عليه ·

كنز أسرة سبادا :

كان لابد لرجل العجوز أن يرتاح لبعض دقائق ، **ولكنه استمر فى قصته :**

ـ مرت الســـنين ·· وأصـــبح الأبناء أجدادا

وأصبح ابناؤهم آباء وأجدادا ٠٠ وأصبح بعض أفراد أسرة سبادا جنودا ، وأصبح بعضهم موظفين وتجارا ٠ وازداد بعضهم ثراء ، وفقد البعض الآخر أموالهـم ٠ والآن أصل الى آخر أفراد أسرة سبادا ٠٠ الرجل الذى كان صديقا لى ، الأمير سبادا ٠

ظل كتاب الدعاء المشهور فى داخل الأسرة ، وفى حوزة الأمير ٠ كان مكتوبا بطريقة جميلة ، وموشـــى ومطعما بالذهب ٠ وكان لثقلـــه يحمله خادم للأميـر عندما يذهب الى الكنيسة ٠

ومثل كثيرين غيرى ، تفقدت كل أوراق الأسرة ، وكانت فى غرف ممتلئة بالأوراق ، محاولا العثور على اجابة للسؤال القديم : أين كنز أسرة سبادا ؟ ولـــم أعثر على شىء ٠٠ وقرأت كتابا عن تاريخ عائلة بورجيا لاكتشف اذا كان سيزار بورجيا قد حصل على الأموال فى النهاية ٠ فتوصلت الى أنه حصل بالتأكيد على كل ثروات روز بليوزى ، ولكنى لـــم اعثر على شـــىء

بخصوص ثروات سبادا ٠ وفى النهاية كنت متاكدا تماما أن الكنز قد ظل مختبئا كل هذا الوقت ٠

ومات صديقى ٠ وبموته ، آلت الى كل أملاكه ٠ وبتركها لى ، طلـــب منى فقط أن أكتب تاريخ أســـرة سبادا ٠

« انك ابنى » :

واخذ فاريا قسطا من الراحة قبل أن يستمر قائلا :

ـ فى عام ١٨٠٧ ، وقبل أن أصبح سجينا بشهر تقريبا ، كنت أقرأ بعض الأوراق التى لم تشد انتباهى ، فغلبنى النعاس فنمت ٠

وعندما استيقظت كان الوقت مساء ٠ وكان كـل شىء مظلما فيما عدا المدفأة الخافتة ٠ فأخذت المصباح فى يد ، وتحسست باليد الأخرى باحثا عن ورقة لأحصل على ضوء من المدفأة ٠ لم أكن أريد أن أحرق أى ورقة من الأوراق الهامة ، ولكنى تذكرت أنه كانت هنـــاك ورقة بيضاء فى كتاب الدعاء ٠ كانت تستخدم كعلامة

للمكان الذى وصل اليه القارىء فى الكتاب ، وكانت موجودة مع الكتاب لسنوات عديدة · أخذتها ووضعت طرفا منها فى النار · واثناء توغل النار فى الورقة ، بدأت تظهر كتابة صفراء · فأخمدت النار بسـرعة · وعندما تمكنت من الحصول على ضوء ، فتحت الورقة وتطلعت اليها · لقد كتبت كلمات على الورقة بحبر سرى يظهر فقط عندما تعرض الورقة للحرارة · كان جزء من الورقة قد أكلته النار بالفعل ·

هذه الورقة التى فى يدك هى الجـزء المتبقـى · اقرأها مرة ثانية يادانتى ، وأنا سوف أكمل لك ماينقص منها !

وقرأ دانتى الكتابة الصـفراء التى على الورقـة ثانية ·

فقال فاريا :

– والآن ، انظر الى هذه ·

وأعطى دانتى قطعة ورق ثانية عليها سـطور من الكتابة المبتورة ، **وأضاف قائلا :**

ـ ضع قطعتى الورق سويا .... هل بدأت تفهم الآن ؟

ـ أجل . انها الورقة التى حاول كل شخص أن يعثر عليها . ولكن الخط على القطعة الثانية مختلف .

فى الخامس والعشرين من مايو ، طلب منى العشاء مع سيزار بورجيا . وخفت أن يقتلنى لكى يحصل على كل ثرواتى كما حصل على ثروات الأمير كابرا وبنتفاليو ورغبتى أن كل مالدى يؤول بعد وفاتى الى جويدو سبادا . لقد خبأته فى مكان يعلمه ، و قام بزيارته معى وهو ، فى جزيرة مونت كريستو . كل مالدى ذهب ومال ومجوهرات ، خبأتها هناك . ارفع الصخرة الثانية والعشرين من شاطىء الخليج الصغير الذى فى الشرق وهناك ستجد سلما يهبط تحت الأرض . أدخل الحجرة الثانية : وستجد الكنز فى الركن الشمالى الشرقى منها سيزار ٢٥ مايو ١٤٩٨

فقال فاريا :

ـ انه خطى . انها تكلمتى للورقة القديمة .

وعندما انتهيت منها ، قررت أن أشـــرع فى الحـــال ، وأخذت معى بدايات كتابى الضـــخم الذى اكتبـه عن ايطاليا · ولكن الحكومة كانت تتوجس خيفة منى · ولم يفهموا لماذا أردت أن أرحل فجـــأة هكذا · وأخذونى سجينا وأنا فى طريقى الى ركوب السفينة ·

ونظر فاريا الى دانتى فى حنو الأب عندما ينظر الى طفله ، وقال :

– والآن ، يارفيقى العزيز ، فأنت تعرف قدر ما أعرف أنا نفسى · واذا حدث وتمكنا من الهرب سويا ، فنصف هذا الكنز هو لك · واذا مت هنا وتمكنت أنت من الهرب بمفردك ، فالكنز كله لك وحدك !

فقال دانتى :

– الكنز كنزك ياصديقى العزيز ، كنزك أنت وحدك وليس لى أى حق فيه · وأنا لست واحدا من أفـــراد أسرتك !

فقال الرجل العجوز بصوت عال :

ـ انك ابنى ، يا ادموند · انك ولدى ، الذى رزقنى الله به فى هذا السجن · لقد أرسلك الله لتكون فرحـــة لرجل لم يستطع أن يكون أبا ، ولم يســـتطع أن يكون حرا ·· !

(١١) مــوت فاريــا

احدى الليالى :

لقد بدا وكأن السجينين قد فقدا فرصتهما الأخيرة فى الهروب · اذ جاء عمال وأخذوا يعملون فى الممــــر الخارجى · واقتلعوه من أساسه · وألقوا بكتل الحجارة

فى الحفرة التى قد ملأ دانتى نصفها فقط · وقــاموا بتجديد كل شىء ·

فقال الشاب لفاريا :

ـ كما ترى ، لقد وعدتك أن أظل معك للأبد ، والآن لا أستطيع أن أخل بوعدى اذا حاولت · ولن أحصل على الكنز مثلك تماما ، لأننا لن تستطيع أن نغادر هذا السجن · وكنزى الحقيقى هو تعليمك لى ، والحكمة التى تعلمتها منك ، ومتعة الحديث معك لمدة خمس أو ست ساعات كل يوم ·

وهكذا ، اذا كانا لم يعتبرا سعداء بالفعل ، الا أن الأيام تمر سراعا ··· وليست بشكل تعيس · وكان فاريا يتحدث باســـتمرار عن كنزه ، ويفكر دائما فى طرق للهرب لصديقه الشاب · وخوفا من أن تضـــيع الرسالة ، جعل دانتى يحفظها كلمة كلمة عن ظهر قلب ، وأحرق الورقة التى قد كتب عليها الكلمات التى تكمل المعنى ·

لم يعد فاريا قادرا على استخدام ذراعه وساقه ، ولكن عاد له صفاء ذهنه وادراكه ٠ واستمر فى تعليم دانتى التاريخ واللغة الانجليزية ومواد اخرى ، وعلمه ايضا ، كأول واجب من واجبات السجين ، أن يصنع شيئا من لاشىء ٠ وهكذا كانا دائما فى انشغال تام ٠ شغل فاريا نفسه حتى لايرى نفسه يطعن فى السن ٠ واخذ دانتى يعمل حتى لايتذكر الماضى ٠

وفى احدى الليالى ، استيقظ دانتى فجأة ، معتقدا أنه سمع من يناديه ٠ وفتح عينيه ٠ ان اسمه ٠٠ أو صوتا ضعيفا يحاول أن يقول اسمه ٠٠ يصل الى سمعه عبر الظلام !

فحرك سريره ، وازاح الحجر ، واسرع داخل الممر الذى تحت الأرض ٠ وكان الطرف الثانى منه مفتوحا ٠ ورأى ، على الضوء الباهت المصباح فاريا ، الوجه الأبيض للرجل العجوز ممسكا بأحد أطراف السرير ٠ وكانت على وجهه علامات الالم المخيف التى قد عرفها دانتى من قبل ٠

قال فاريا :

ـ آه ، ياصديقى العزيز ، انك تعـــرف ، اليس كذلك ؟ لاحاجة لى ان اقول لك ·· لقد حـــان الوقت لأموت ··

الموت :

فصاح دانتى قائلا :

ـ آوه ، ياصديقى ، لاتقل ذلك ! لقد انقذتك مرة ، وسانقذك ثانية !

وبسرعة رفع قدم السرير وأخرج القنينة الصغيرة كان لايزال هناك بعض من السائل الأحمر ، وقال :

ـ انظر ، لايزال فيها القليل · قل لى ماذا يجب أن افعل هذه المرة ·

فأجاب فاريا :

ـ ليس هناك أمل · ولكن لا بأس فى أن تفعل كل مافى وسعك لانقاذ حياتى · افعل مافعلته من قبل ، ولكن

لا تنتظر طويلا · اعطنى اثنتى عشرة نقطة · واذا لم اتحسن بعدها ، فاسكب الباقى فى فمى · والآن ضعنى على سرير ·

اخذ ادموند الرجل العجوز بين ذراعيه وارقده على السرير ·

وقال فاريا :

ـ ياصديقى العزيز ، ويافرحة عمرى ، يامن وهبته السماء لى متاخرا ·· ولكنى عبد شـكور ، احمد الله على كل شىء ·· اذا هربت ، فاذهب الى مونت كريستو. خذ الكنز واستمتع به ·· استمتع به ، فانت قد عانيت طويلا · وربنا معك !

وسقط مغشيا عليه فى سريره ··

وانتظر دانتى ، والقنينة فى يده · وملأ المصباح الخافت الضوء الغرفة بظلال غريبة راقصة · وعندما اعتقد أن الوقت المناسب قد ازف ، سكب اثنتى عشـرة نقطة داخل فم فاريا ، واخذ ينتظر · والقنينة لاتزال

تحتوى على حوالى اثنتى عشرة نقطة اخرى ، وانتظر نحو عشرة دقائق ٠٠ نصف ساعة ٠٠ ثم سكب كل مافى القنينة فى فم فاريا ٠

فتحرك فاريا ٠ وانفتحت عينـــاه ٠٠٠ واعطـى صرخة ضعيفة ٠٠٠ ثم سكت ٠

ومرت نصف ساعة ٠٠ ساعة ونصف ٠٠ ولايزال ادموند جالسا ويده فوق قلب فاريا ٠ واصبح القلب أضعف وأضعف ٠ وبعدها اصبح الجسد باردا ٠

قوانين السجن :

دخل دانتى فى الممر الذى تحت الأرض ، واغلقه من ورائه قدر ما امكنه ٠

وكان ذلك فى الوقت المناسـب ، فالحـــارس كان قادما ٠ لقد جاء أولا الى غرفة دانتى ، ثم ذهب الى غرفة فاريا ، ليعطيه طعام الافطار وبعض الملابس ٠

وشعر دانتى عندئذ بما كان يحدث فى غرفة صديقه ونزل فى الممر السرى ، ووصل فى الوقت المناسب ليسمع الحارس وهو يصيح طالبا المساعدة ٠

وجاء حراس آخرون · واستطاع دانتى أن يسمعهم وهم يتكلمون ·

قال واحد منهم :

ـ حسن ، حسن ، لقد ذهب المجنون ليعتنى بكنزه · يالها من رحلة طيبة !

ـ ورغم كنزه هذا ، فليس لديه مايكفى لكفنه !

ـ أوه ، ان كفن شاتو ديف لايكلف كثيرا · انـه كيس بسيط من القماش ·· هذا كل ما سيحصل عليه ·

سمع ادموند كل كلمة ، ولكنه فهم القليل ممـا قالوه · ثم عم السكون ، وكأنهم قد رحلوا · ولكنه لم يجرؤ أن يدخل ، فربما يكونوا قد تركوا واحدا للمراقبة·

وبعد ساعة سمع ضجة · لقد جاء مدير السجن ، وكان معه شخص آخر ··

قال صوت غير معروف :

ـ أجل ، انه ميت أكيد ·

وجاء صوت مدير السجن قائلا :

– أنا لا أشك فى ذلك ، ولكن من قوانين السجن أن نفحص ونتأكد تماما أن السجين قد مات ٠

وعم السكون لفترة قصيرة ، ثم قال الصوت :

– لك أن تكون على يقين فى أنه مات ٠ لا نقاش فى ذلك ٠

ثم سمع خطوات جديدة تذرع المكان ذهابا وايابا جاء بعدها صوت قطعة قماش كبيرة تسحب فوق أرضية الغرفة ٠٠ وصوت آخر من السرير وكأن الحمــــل قد وضع عليه ٠

وقال مدير السجن :

– فى المساء ٠

فسأل الحارس :

– فى أى وقت ؟

ـ حوالى العاشرة أو الحادية عشرة ٠

ـ هل نحرس الجثة ؟

ـ لا ٠ لاداعى لذلك ٠ اغق الباب كما لو أنه مازال حيا ٠٠٠ هذا كل مافى الأمر ٠

وذهبت الخطوات بعيدا ٠ واختفت الأصوات رويدا رويدا ٠ وجاء صوت غلق الباب ٠ ثم خيم السكون ٠٠ اعمق سكون ٠٠ سكون الموت !

رفع دانتى الحجر برأسه ٠ وتطلع بحذر فى أرجاء الغرفة ٠ لم يكن بها أحد ٠ فدخل ٠٠



(١٢) قبر شاتو ديف

فكرة غريبة :

وعلى السرير رأى دانتى ، فى الضوء المعتم ، كيسا طويلا مصنوعا من قماش أصفر · يرقد فى داخله جسد صديقه فـــاريا · وكان هذا هو الكفن ، الذى قال عنه الحارس ، أنه لا يتكلف كثيرا ·

لقد تم الفراق بين دانتى وصديقه العجوز · انه لم يعد يستطع رؤية هاتين العينين اللتين ظلتا مفتوحتين وكأنهما تنظران لما بعد الموت · جلس على حافة السرير وفكره الحزين يمر فى خاطره **وقال لنفسه :**

– وحيد ! ها أنا وحيد مرة أخرى ·

وعندما قال هذا توقف ، وتحجـرت عينـــاه ، اذ **جاءته فكرة غريبة :**

– من بعث بهذه الفكرة الغريبة لى ؟ هل هو الله ؟ أم ·· ؟ طالما انه لا يغادر هذا السجن سوى الأموات فقط ، فلأحل محل الميت ·

ولم يعط لنفسه مزيدا من الوقت ليفكر فى ذلك · كان لابد من التنفيذ فى الحال · ففتح الكيس بالسكين الذى صنعه فاريا · وأخرج الجثة منه وحملها عبر الممر السرى الى غرفته هو · وأرقدها على سريره وسحب ملاءة السرير وغطى الجثة حتى الرأس ، تمـــاما كما يصنع بنفسه عندما يكون راقدا · ووضـــع قبلة على

الوجه البارد ، ثم أدار الوجه تجاه الحائط ، وذلك لكى يعتقد الحارس ، عندما يأتى بطعام العشاء أنه نائم كما هى عادته ٠

وعاد الى الغرفة الأخرى ٠ وأخذ من مخبئها ابرة من تلك التى صنعها فاريا ٠ وخلع ملابسه وأخفاها ٠ ثم مرق داخل الكيس ، ومدد نفسه داخله بنفس الطريقة التى كانت عليها الجثة ، ثـم ربط رأس الكـيس من الداخل !!

وجاء الوقت :

والآن تم تنفيذ الخطة ، مهما كانت النتيجة ٠ وربما أثناء حملهم له ، يكتشف الرجال أنهم يحملون انسانا حيا بدلا من جثة ميت ٠ اذا حدث ذلك ، فلقد خطط أن يفتح الكيس من عاليه لأسفله ويشقه بالسكين مباغتة ، ويفر هاربا قبل أن يستردوا وعيهم من المفاجأة ٠ واذا حاولوا الامساك به ، فيستخدم السكين ٠

واذا دفنوه فى مقبرة ، فلقد خطط أن يدعهم يدفنوه

ويغطوه بالتراب · ولعله يكون ليلا ، ويتوقع أن يقدر عى شق طريقه عبر التراب والأرض الســـهلة عندمـــا يذهبون · وكان أمله فقط أن يكون وزن التراب خفيفا والا يكون شديد الثقل عليه ·

كان الخطر الأول هو عندما يحضر الحارس لـــه وجبة العشاء فى الساعة السابعة ، فقد يلاحظ التغيير الذى قام به · ولكن من حسن الحظ ، أن دانتـــى كان غالبا مايرقد فى السرير عندما كان يأتى الرجل ، وعندئذ يضع الرجل الطعام على المنضدة ويذهب بدون أن يقول أية كلمة ·

فى هذه المرة قد لا يسكت الحارس كالمعتاد · وقد يتكلم ويحدث دانتى ، وعندما لا يجيبه ، يذهـــب الى السرير ، وهكذا يتم اكتشاف كل شىء ·

ولكن الساعات مرت وكل شىء هادىء فى السجن وشعر دانتى بأنه قد اجتاز خطره الأول ·

وأخيرا ، فى الوقت الذى حدده مدير الســـجن ، سمع ادموند خطوات فى الخارج · لقد جاء الوقت ·

لابد أن يكون شجاعا الآن · أشجع من أى وقت مضى فى حياته كلها · وسمع وقع أقدام عند الباب ·· وكانا اثنين ·· هذا ما فطنه بنفسه · وسمعهما يضعان لوحا خشبيا هو النقالة التى سيحملان الجثة عليها ··

وانفتح الباب ، ووصل ضوء معتم الى عينيه من خلال قماش الكيس · ورأى ظل رجلين يقتربان من السرير · وظل رجل الآخر عند الباب ومعه مصباح · وأمسك رجل منهما بطرفى الكيس ، **وقال واحد منهما ، وهو يرفع الرأس :**

ـ انه ثقيل على رجل عجوز ·

فقال الآخر ، رافع القدمين :

ـ يقولون أن كل سنة تزيد من وزن العظام !

« القبر » :

سأل المتحدث الأول :

ـ هل قمت بربطها ؟

فاجاب الآخر :

– وما فائدة حمل كل هذا الثقل غير الضرورى ؟ يمكن القيام بذلك عندما نصل الى هناك ٠

– أجل ، انك على حق ٠

ففكر دانتى :

– ربطها ؟ ٠٠٠ ربط ماذا ؟

ووضعا « الجثة » على النقالة ، وسار الرجل حامل المصباح فى المقدمة ٠

وفجأة شعر دانتى بهواء الليل البارد المنعش ٠ وتقدم الرجلان وسارا حوالى عشرين مترا ، ثم توقفا ووضعا الجثة على الأرض ٠

وذهب واحد منهما ، فلقد سمع دانتى صوت حذائه على الأرض الحجرية ، **فسأل نفسه :**

– ترى أين أنا ؟

قال الرجل الآخر :

– انه حمل ثقيل فعلا !

وجلس على حافة النقالة ٠

وللحظة فكر دانتى أن يقوم بعملية هروبه الآن ٠ ولكنى من حسن حظه أنه لم يفعل ذلك ٠

قال الرجل الآخر :

– اعطنى قليلا من الضوء هنا ، أيها الرجل ، والا فلن أجد ما أبحث عنه ٠

تحرك الرجل حامل المصباح نحو الصوت ٠

فتساءل دانتى :

– ترى ماهو الذى يبحث عنه ؟ هل هو شىء لحفر القبر ؟ ولكن لابد أن القبر جاهز من قبل ؟

– ها هو ٠ لقد وجدته ٠

جاء الرجل الى ادموند ٠ وسمع شيئا ثقيلا يوضع بجواره ٠٠ ثم شيئا التف حول قدميه وتم ربطه ٠

وسال الرجل :

ـ هل تم ربط ذلك بشكل متين ؟

فاجاب الرجل الآخر :

ـ أجل · استطيع أن أقول لك · أنه لن يفلت ·

ـ تحرك اذن ، هيا ارفع ·

وشعر دانتى بأنهما يرفعانه ثانية ، وتحركا بضعة خطوات الى الأمام · وتوقفا لفتح احد الأبواب ، ثم سارا ثانية · والآن جاء الى سمعه صوت أمواج وهى تلطم الصخور ، وكان الصوت واضحا جدا ·

وقال احدهما :

ـ حسن ، اخيرا وصلنا ·

فقال الآخر :

ـ ابعد قليلا ، ابعد قليلا · تعرف جيدا ان الجثة السابقة لم تسقط فى الماء ··· بل سقطت على الصخور وهذا ما أغضب المدير منا ·

سارا خمس أو ست خطوات أخرى ٠ ثم شعر دانتى أنهما أخذاه من رأسه ومن قدميه ٠

وقال الرجلان سويا :

ـ واحد ! اثنين ! ثلاثة ٠٠٠ هيا !!

وشعر دانتى بنفسه يطير فى الهواء ، ثم سقط ، وأخذ يسقط ويسقط ٠ وكان يسقط بسرعة بسبب الثقل الذى ربط به ٠٠ ومع ذلك بدا له وكأنه كان طائرا فى الهواء لعشرات السنين ٠ وأخيرا ، مع ارتطامة عظيمة التقى بالماء البارد ٠ فشهق شهقة مهوله الا أنها توقفت فى الحال بسبب الماء الذى أجبره على غلق فمه ٠

لقد ألقى بدانتى فى البحر ، ولقد سحب تجـــاه القاع بواسطة حجر كبير مربوط فى قدميه ٠

وكان قبر شاتو ديف هو ٠٠٠ البحر !

(١٣) جزيرة تبولين

سباحة طويلة :

كان دانتى حكيما فى الا يقاتل من اجل الهواء ٠ لقد احتفظ بفمه مغلقا بعد شهقة الاندهاش تلك ٠٠ كان لايزال ممسكا بالسكين فى يده اليمنى ٠ فاسرع بشق الكيس ، واخرج ذراعه ، ثم جسده ٠ ولكنه لم يستطع

أن يحرر نفسه من الحجر · كان يسحبه الى أسفل فى الأعماق · فانحنى على نفسه ، وكان فى نهاية قــوة تحمله عندما قطع الرباط وتحرر من الحجر · وارتفع بسرعة الى سطح الماء ، بينما أخذ الحجر الكيس ونزل به الى قاع البحر ··

واندفع دانتى فى صراع مع هواء الليل الذىحرممنه طويلا · ثم بدأ بعد ذلك فى السباحة تحت الماء حتى لايراه أحد ·

وعندما صعد مرة أخرى ، كان على بعد حوالى مائة متر من المكان الذى سقط فيه فى البحر · ورأى من فوقه سماء سوداء عاصفة يبعثر ريحها فى السحاب الهارب فى فزع · وأمامه يمتد البحر العظيم أســـود اللون ، رهيب الشكل · ويبرز من خلفه سجن شاتو ديف ، أسود من البحر وأسود من السحاب مثل عملاق من الحجر ، وصخوره مثل الأذرع الممتدة للامساك به والقبض عليه · وعلى أعلى صخرة كان يوجد مصباح يضىء شكلى رجلين · وظن أنهما ينظران الى البحر ·

ولعلهما قد سمعا صرخته · فنزل دانتى مرة أخرى تحت الماء ، وظل هكذا لمدة طويلة · وكان هذا هينا عليه ·· فكثيرا ما كانت الناس تتجمع لمراقبته ، عندمـــا كان يسبح بهذا الشكل فى خليج مرسيليا ، واعتادت الناس أن تقول على أنه أفضل سباح فى المدينة ·

وعندما صعد مرة أخرى ، كان الضوء قد تلاشى · كان من الضرورى أن يسبح متوغلا داخـــل البحر · فأقرب الجزر المتناثرة حول شاتو ديف هى راتونـــى وبوميجو ولكنهما كانتا مأهولتين بالسكان · وقد تكون جزيرة تيبولين أو ماير أكثر أمانا · وهما على بعد خمسة كيلو مترات من شاتو ديف ، ولذلك قرر دانتى أن يسبح فى اتجاههما ·

وعندما بدأ فى السباحة ، وجد أن حياة السجن لم تذهب عنه قوته · انه لايزال قادرا على التحكم فى الماء الذى قد لعب فيه كثيرا أثناء فترة صباه ·

كان الخوف لايزال يتعقبه · فبدت له كل موجـــة

وكأنها زورق قادم ليلاحقه · حاول أن يسبح أسرع . ليبتعد أكثر عن شاتو ديف ، ولكن ذلك أرهقه · وكان عليه أن يسبح ببطء أكثر اذا أراد أن يصل تيبولين أو ماير ·

ومضت عليه ساعة ، وهو لايزال سـابحا · فقال لنفسه :

– لقد مضى على سابحا أكثر من ساعة والريح ضدى ، وهذا أعاقنى قليلا · ولكنـى لم أخطـىء أو انحرف ، لابد أننى قريب من جزيرة تيبولين ·

وفجأة بدت السماء تصـبح أكثر ظـلاما ، وبدت السحب أكثر انخفاضا · ثم شعر بألم حاد فى ركبته . فأنزل قدميه ، فوجد صخرة · وهنا أدرك مابدا لـه كسحابة مظلمة منخفضة · وظهـرت أمامه كتلـة من الصخور : انها جزيرة تيبولين ·· جزيرة صخرية وعرة هادئة ، وليس بها منازل ··

العاصفة :

جر دانتى نفسه على الشاطىء ورقد تحت صخرة معلقة ، بينما العاصفة مستمرة ، وأخذ يتساءل :

ـ كيف سبحت فى هذا الجو العاصف ؟!

كانت الأمواج مخيفة مرعبة حتى انها بدت وكأنها ستدمر الجزيرة الى أشلاء ٠

وتذكر أنه لم يأكل أو يشرب شيئا لمدة أربع وعشرين ساعة ٠ وبسط يديه ليقتنص قطرات المطر ، ويشربها ٠

وفجأة ، وعلى ضوء العاصفة ، رأى زورق صيد سحبته قوة الريح والأمواج فى اتجاه الصخور ٠ وبعد دقيقة أخرى رآه ثانية ، أكثر قربا ٠ وحدث تصادم مهول ، تبعته صيحات خوف وألم ٠ لقد أصبح الزورق ركاما

ركض دانتى نازلا نحو الصخور ، فى خطر عظيم أن يقتل هو نفسه ٠ وأخذ ينصت ، ولكنه لم يسمع ولم

ير شيئا · لقد توقف الصراخ تماما ··· واســـتمرت العاصفة ·

وأخيرا هدأت الريح · وتحركت السحب الرمادية العظيمة تجاه الغرب · وظهر خط أحمر فى الأفق عند حافة البحر البعيدة وأصبحت الأمواج بيضاء · وتراقص الضوء من فوقها ملقيا على رؤوسها بجدائل من ذهب · انه النهار ··

وقف دانتى يراقب فى صمت هذا المنظر الرائع · لقد نسى هذه الروعة ، بسبب سجنه الطويل · والتفت نحو شاتو ديف ، وأخذ يتطلـــع الى البحـــر والبر · وسرح بفكره قائلا :

ـ فى خلال ساعتين أو ثلاث ، سيدخل الحارس غرفتى · وسيعثر على جثة صديقى المسكين · وسيبحث عنى ولن يجدنى ، ثم يطلب النجدة · وعندئذ سيكتشفون الممر السرى · وسيقومون باستجواب الرجـــال الذين ألقوا بى فى البحر ، والذين لابد وقد سمعوا صرختى · وسيرسل السجن بزوارق مزودة بالجنود لملاحقة السجين

الهارب · وسيقرع الجرس الكبير ، وسيبحث الكل عن رجل هارب هائم على وجهــه بدون ملابس ، محـــاولا العثور على طعام ·· وفى مارسيليا ستكون الجنود على أهبة الاستعداد ، بينما مدير السجن ورجاله يبحثون عنى فى عرض البحر · اننى أحس بالبرد والجوع · لقد فقدت حتى السكين التى انقذت حياتى · أوه ، ياالهى، لقد تعذبت وقاسيت بما فيه الكفاية ·

ساعدنى يارب ·· !

سفينة :

عندما قال دانتى دعاءه ، وعينــاه متجهتان نحو شاتو ديف ، رأى سفينة صغيرة تظهر عند طرف جزيرة بوميجو · كانت قادمة من مارسيليا وتتحرك مســرعة لعرض البحر ·

فقال ادموند :

ــ أوه ، اذا لم أكن أخشى أن يستجوبونى ويكتشفوا أمرى ، ويعيدونى الى مارســيليا ، لكنت لحقت بهذه

السفينة ٠ ماذا يمكننى أن أفعل ؟ ماهى القصة التى أرويها لهم؟لايمكننى الانتظار،لاننى لابد أن أحصل على طعام ٠٠٠ آه ! أستطيع أن أكون أحد البحـــارة على الزورق الذى تحطم فى الليلة الماضية ٠ سوف يصدقون هذه القصة لأن العاصفة كانت سيئة جدا ٠ ولم ينج أحد منهم ليقول بأنها ليست حقيقية ٠

واثناء ذلك ، تطلع دانتى نحو المكان الذى تحطم فيه زورق الصيد على الصخور ، فشاهد قبعة حمراء معلقة على طرف احدى الصخور ، وبعض قطع الزورق ملقاة أسفلها ٠

لقد تشكلت خطة دانتى ٠٠٠ فسبح الى الصخرة ٠ وأخذ القبعة ووضعها على رأسه ٠ ثم أخذ احدى قطع الزورق وشرع بها فى البحر بطريقة يعترض بها مسار السفينة ٠

واقتربت منه ٠ فرفع نفسه فوق الأمـــواج وأخذ يصيح ويلوح بيده ٠٠ فاتجهت السفينة نحوه وهبط منها زورق صغير ٠ وجاء اليـه الزورق ، وفيه اثنـــان من

البحارة · فترك دانتى قطعة الخشـــب وبدأ يســـبح لملاقاتهما · ولكنه استخدم قوة فوق طاقته ، وأكثر مما كان يظن · ولم تعد هناك أية طاقة فى ذراعيه ، ولم تقدر ساقاه على الحركة · وصرخ طالبا النجدة · وأسرع الزورق نحوه ، **وصاح أحد البحارة :**

ـ اطمئن ! سنأتى اليك !

وصلت الى اذنيه الكلمات مع موجة جارفة مـــرت من فوقه · وصعد مرة أخرى ، ثم شعر بنفسه ينسحب الى أسفل ويغرق وكأن الحجر لايزال مربوطا فى قدميه وغطت المياه رأسه تماما ·· وبدت السماء حمراء ·· ثم أمسك أحدهما بشعره وجذبه الى أعلى · وبعدها لم يسمع أو يرى شيئا ·

الى ليجهورن :

عندما فتح دانتى عينيه ، وجد نفسه على ظهـــر السفينة · وأول ما قام به كان التأكد من مسار السفينة واتجاهها · كانوا يبتعدون تاركين شاتو ديف وراءهم · فصدرت منه صرخة ضعيفة كلها فرح ·

وقف بحار يدلك له ذراعيه وساقيه بقطعة قماش جافة · وأمسك آخر بكوب به سائل الى فمه ، انه نفس الرجل الذى قال له « اطمئن » · وثالث ، بحار عجوز ، هو قبطان السفينة ، وقف مراقبا ·

بدا أن السائل الذى احتساه قد أعطى دانتى بعض القوة ·

وقال القبطان :

ـ من أنت ؟

فقال دانتى :

ـ أنا مالطى من مالطـــه · كنـــا قادمين من سيراكوز ، حاملين شحنة حبوب · ولحقت بنا عاصفة الليلة الماضية ، وتحطمت سفينتنا على تلك الصخور ·

ـ ومن أين أتيت ؟

ـ من هذه الصخور ، لقد قذفت بى العاصفة اليها وتشبثت بها ، ولكن القبطان وجميع البحارة قد فقدوا

وخشيت أن أظل فى جزيرة مهجورة وأمـــوت فيها · ولذلك ، عندما رأيت سفينتكم ، جئت على قطعة حطام من مركبنا لأحاول اللحاق بكم · لقد انقذت حياتى ، والشكر لك ايها القبطان ·

وأردف دانتى قائلا :

ـ لقد انقذ حياتى أحد رجالك وانتشلنى من شعرى

فقال رجل ضخم :

ـ هذا أنا · وكنت انت على وشك الغرق ·

فقال دانتى وهو يصافحه :

ـ نعم · وشكرا لك مرة ثانية !

فقال البحار :

ـ ولكنى أشك فى قصتك · انك تبدو فى هيئة لص لا بحار طيب ، خصوصا بلحيتك الكثة وشعرك الطويل

فتذكر دانتى أن شعره ولحيته لم تتم حلاقتهما طوال مدته فى شاتوديف ، **فقال :**

- أجل ، لقد قلت فى احدى الأزمات ، اذا انقذنى الله ، فلن أحلق شعرى لمدة أربع سنوات · وهـــا هى تنتهى الأربع سنوات بسرعة ·

فاستفسر القبطان قائلا :

- والآن ماذا سنفعل بك ؟

- أى شىء تريده · فقبطانى قد مات · ولقـــد نجوت بحياتى باعجوبة · ولكننى بحار ماهــر · واذا تركتمونى فى أول مكان تذهبون اليه ، فساجد عمــلا بسهولة ·

- هل تعرف هذه البحار ؟

- لقد ابحرت فيها منذ ان كنت طفلا ، أنى أعرف كل كبيرة وصغيرة على ساحل فرنسا وايطاليا ·

فقال الرجل الذى قد سحب دانتى من شعره :

- اقول أيها القبطان ، اذا كان مايقوله صحيحا ، فلماذا لايبقى معنا ؟

فقال القبطان فى ريبة :

ـ اذا كان مايقوله صـــحيحا ، ولكن فى حالته الراهنة ، فانه سيعد بأى شيء ، وبعدها يخنث به كيفما يشاء ٠

فقال دانتى :

ـ سأفعل ماهو أكثر من الوعد ٠ أين أنتم ذاهبون ؟

ـ الى ليجهورن ٠

ـ اذن ، لماذا لا تبحرون بالقرب من الريح ؟

ـ لأننا نريد أن ندخل جزيرة ريو

ـ انكم ستخطئونها بثلاثين مترا ٠

فتطلع القبطان مندهشا ، وقال :

ـ يمكنك أن تقوم بالقيادة ، اذن ٠

فأعطى دانتى أمرا سريعا ٠ فســحبت الأشـــرعة للخلف ٠ وغيرت السفينة من مجراها ٠ وبدا الشعور

بيد السيد المتمرس الذى يقودها يسرى فى السفينة ·
وأسرعت تيارات مياه البحر الراقصة ، شهباء كالثلج
تحف بجوانبها · ووقف القبطان مراقبا ·

ولمدة دقيقة واحدة انتاب الخوف قلب القبطـان ،
وبعدها مرت السفينة بالجزيرة ، كما قال دانتى ، على
بعد ثلاثين مترا من جهة اليمين ··

صوت الجرس :

فقال القبطان :

ـ عظيم !

وصاح البحارة :

ـ عمل طيب !

لقد تطلعوا جميعا فى اندهاش الى قوة وتحكم هذا
الرجل الذى كان منذ فترة وجيزة راقدا شبه ميت عند
أقدامهم ·

قال دانتى :

ـ كما ترون ، على الأقل ساكون مفيدا لكم أثناء الرحلة ٠ واذا لم تريدونى ، فيمكنكم أن تتركونـــى فى ليجهورن ٠ وسوف أدفع لكم من أول نقود أحصل عليها مقابل طعامى ، والملابس التى اعطيتموها لى !

فقال القبطان :

ـ أوه ، أنا الذى سادفع لك ، اذا لم تغـــالى فى فى طلبك ٠

فأجاب دانتى :

ـ ادفع لى ما تدفعه للآخرين ٠

فقال البحار الذى انقذ دانتى :

ـ هذا ليس من العدل ، لأنك تعرف اكثر منا ٠

فقال القبطان :

ـ لماذا تقول ذلك ، يا جاكابو ؟ كل شخص حر فى أن يطلب مايريد ٠

فقال جاكوبو :

– هذا صحيح ، اننى أقول فقط ما أعتقده أنا ٠

– حسن ، من الأفضل لك أن تعطيه بعض الملابس ليرتديها ٠

فقال جاكوبو :

– يمكننى ذلك ٠

وعاد بعد قليل بملابس كان ادموند فى حاجة اليها وسأل القبطان :

– والآن ، هل تريد أى شىء آخر ؟

– بعض الخبز ، وأى شىء أشربه ٠ اننى لـــم آكل أو اشرب منذ فترة طويلة ٠

انه لم يذق طعم الأكل لمدة ثمان واربعين ساعة ٠

فأحضروا له طلبه ٠ وفجأة جاء الصوت العميق لقرع الجرس عبر المياه ٠

فصاح القبطان :

- هاى ! ما هذا ؟

ادار دانتى وجهه وهو يرفع الكوب لفمه ..

وسال القبطان مرة ثانية :

- مامعنى ذلك ؟

فاجاب دانتى :

- لقد هرب سجين من شاتوديف .

فتطلع القبطان ، ولكنه كان قد رفع الكوب ، وأخذ يشرب ويشرب وكأنه لايعبأ بشىء ازاء الموضـــوع ، وتلاشت مخاوف القبطان ، اذا كانت لديه اية مخاوف .

وقال القبطان لنفسه :

- حسن ، حتى لو كان هو الهارب ، فسيكون مفيدا لنا .

وجلس دانتى بجانب جاكوبو ، **وسال :**

ـ فى أى يوم نحن وفى أى سنة ؟

ـ هل تسأل عن السنة ؟

ـ أجل ٠

وتساءل ادموند فى نفسه ونظرة حزن تجعل وجهه عابسا :

ـ هل أبى لايزال حيـــا ؟ ٠٠ ترى مـــاذا حدث لمرسيدس ؟ هل تظن أننى مت ؟ ٠٠ هل هى ٠٠٠ ؟

ومع كل شراع يرتفع ، كانت السـفينة الصـغيرة تطير أسرع مبتعدة عن مارسيليا نحو ليجهورن ٠٠

(١٤) اميليــا الصــغيرة

التجارة الحرة :

اكتشف دانتى فى الحال نوع التجارة التى تقوم بها السفينة التى يبحر عليها ، السفينة «اميليا الصغيرة» ٠٠ سمع الرجال يتكلمون ، وعرف بسرعة أن اميليا الصغيرة تقوم بالتجارة الحرة ، كسفينة تضع بضائعها ٠

على الشاطىء ، فى ظلام الليل ، فى خليج ليس فيه ضباط جمارك ، وهكذا لا حاجة لهم فى أن يدفعوا أى شىء على البضائع ٠

بدا القبطان فى البداية متحيرا ، هل كان يستطيع أن يثق فى دانتى أم لا ٠ كما أخذ يتساءل عما اذا كان ضابط جمارك قام بحبك كل هذه القصة للعاصفة والسفينة التى كانت قادمة من مالطة كحجة للصعود على السفينة ٠ ولكن دانتى استطاع أن يجعل القبطان يثق فيه ، ومع وصولهم الى ليجهورن ، كان من الجلى أن القبطان يرتاح تماما نحو الرجل الجديد ٠

وفى ليجهورن ، ذهب ادموند ليحلق لحيته وشعره وطوال تلك السنوات لم ير فيها وجهه ٠ كان يذكر جيدا كيف كان يبدو قبل دخوله شاتوديف ، ويريد أن يرى كم تغير شكله ٠

وعندما تمت الحلاقة ، طلب من الحلاق المرآة ٠
عندما دخل شاتو ديف كان له الوجه المستدير الصريح

لشاب صغير يشع سعادة · لقد تغير كثيرا ، حتى يكاد يكون شخصا آخر · لقد اصبح وجهه أطول · وأصبح فمه اكثر قوة وقسوة · وأصبحت عينـــاه غائرتين ·· وبشرته التى حجبت عن الشمس والهواء الطلــق هذه المدة كلها ، اصبحت أكثر بياضا · حتى صوته قـــد تغير · فلقد جعلته المعاناة الطويلة خفيضا حزينا ·

نظر ادموند الى نفسه فى المرآة ، وقال فى نفسه :

ــ حتى أصدق الأصدقاء لن يعرفنى · اننى لاأكاد أعرف نفسى !

وبعد ماترك الحلاق ذهب لشراء بعض الملابس · وبذلك أصبح رجلا مختلفا فى الملبس وفى الملامـح ، وعاد ثانية الى ظهر « اميليا الصغيرة » ··

خدم رجال « اميليا الصغيرة » قبطانهم باخلاص · وقاموا بعملهم على اكمل وجه ولم يضيعوا أى ســاعة فى ليجهورن · وتم تحميل السفينة مرة أخرى · وكان

على القبطان أن يخرج بالبضائع من ليجهورن بسرعة ، ويضعها على الشاطىء فى كورسيكا ·

وشرعوا فى الابحار ، وشعر ادموند مرة أخرى بفرحة لقاء البحر المفتوح ، الذى حلـــم به كثيرا فى السجن · وتركوا بيانوزا على يمينهم ، وابحروا تجاه كورسيكا ·

وفى الصباح التالى ، وجد القبطان دانتى واقفا عند جانب السفينة ينظر الى كتل الصخور العظيمة التى كانت تصبغها الشمس بنور وردى · انها كانت جزيرة مونت كريستو ·

وغادرتها اميليا الصغيرة مبتعدة حوالى ســـتة كيلو مترات جهة اليســـار محتفظة بمســـارها نحو كورسيكا ·

اجتماع :

فكر دانتى ، أثناء مرورهم ، ان ما عليه الا أن

يقفز من فوق السفينة وفى غضون ساعة سيكون فوق الجزيرة ·

وتساءل فى نفسه :

– ولكن حتى لو فعلت ذلك ، كيف لى أن أخرج بالكنز ؟ ماذا سيقول زملائى البحارة ؟ ماذا سـيفكر القبطان ؟ لابد أن أنتظر ·

لقد تعلم كيف ينتظر · لقد انتظر سنوات طويلة ، ليكون حرا · ويمكنه أن ينتظر بضعة شهور أخرى ، ليكون غنيا ·

وربما يكون هذا الكنز مجرد حلم وليد خيال فاريا ·· ولكنه رأى فى خياله رسالة الأمير سبادا · انهـا حقيقية بلا شك ·· وردد دانتى الرسالة بينه وبين نفسه من بدايتها الى نهايتها ·· انه لم ينس كلمة واحدة !

وجاء الليل ، وأخذ ادموند يراقب الجزيرة التى ظهرت جميلة فى حلة المساء بكل ألوانه الساحرة · ثم أخفت نفسها ببطء فى الظلام · ولكنه الشخص الذى

تعودت عيناه على ظلام السجن ، استمر فى رؤيتها بعد كل الآخرين ٠

- كيف يمكن أن أصل اليها وأعود بالكنز - ان كان هناك كنز - بسلام ؟ ان الكنز كنزى ، ولكننى لا أملك مالا لأشترى به زورقا صغيرا ، وأحصل عليه ٠

كان لايزال يفكر فى هذا السؤال عندما عادوا من كورسيكا الى ليجهورن ٠ وفى احدى الأمسيات ، فى ليجهورن ، طلب القبطان من دانتى أن يذهب معه لحضور احدى الاجتماعات ٠ كان لدى القبطان ثقة كبيرة فى دانتى الآن ، وكان هذا الاجتماع بخصوص أمر هام جدا وهكذا ذهب ادموند مع القبطان الى احدى الغرف . حيث اعتاد كل التجار الأحرار أن يجتمعوا سويا ٠ كان الموضوع الذى يتحدثون عنه ، بخصوص سفينة قادمة من تركيا حاملة كمية كبيرة من الحرير ، يستحق مبلغا كبيرا من المال ٠ وكان من الضرورى العثور على مكان ما هادىء يمكنهم أن يقابلوا فيه هذه السفينة ، ويشترون الحرير ، ثم ينزلونه الى الساحل الفرنسى ٠٠ ويجب

أن يتم اللقاء فى خليج هادىء أو فوق جزيرة مهجورة حيث لا يتعرضون لضباط الجمارك ، ولايدرى أحد بأى شىء عن هذا اللقاء ٠

وفكر قبطان « اميليا الصغيرة » أن أفضل مكـان لهذا يمكن أن يكون جزيرة مونت كريستو ٠ فهى جزيرة مهجورة ، ولم يذهب اليها أى من ضـــباط الجمـارك مطلقا ٠ فى الحقيقة أنها تبدو ، وكأنها قد وضعت فى مكانها فى البحر لهذا الغرض بالذات !

وطار دانتى من الفرح ، عند سماعه لاسم مونت كريستو فنهض وابتعد حتى يخفى مشاعره ٠ وعندما عاد للغرفة ، كانوا قد قرروا الاقلاع نحو مونت كريستو الليلة التالية ٠

والتفت القبطان الى ادموند وسـألـه عن رأيه فى ذلك ٠

فقال دانتى :

ـ اعتقد أنها مكان آمن تماما لهذا العمل !

(١٥) مــونت كريســتو

الاقلاع للجزيرة :

وهكذا ، وبالصدفة المحضة ، ســـيصل دانتى الى الجزيرة ، وسيصل اليها بطريقة لا تلفت نظر أحد ٠

وحل النهار أخيرا ، ثم الليل ، وتم اعداد كل شيء وكان العمل فى الاعداد للرحلة منوطا بدانتـــى ، لأن القبطان وجميع البحارة يثقون فيــه ويحبونه ٠ كانت أوامره واضحة وميسرة ٠ وعمل الرجـــال بســـرعة وبسعادة ومتعة ٠

وكان البحر هادئا ٠ ومع ريح منعشة قادمة من الجنوب الشرقى بدأوا الاقلاع ٠ وقال دانتى للرجـــال أنهم يستطيعون الذهاب والخلود لبعض النوم ، ويقوم هو بالابحار ٠ كان كثيرا مايفعل ذلك ٠٠ فهو يفضل أن يكون وحيدا ٠٠٠ وأين يمكن للانسان أن يكون وحيدا بشكل رائع أكثر من أن يكون على ظهر ســـفينة وفى الليل ٠٠٠ وفى سكون البحر العظيم ؟

وازدحمت ، حاليا ، افكاره بهذا الســـكون ٠٠ وسطعت عتمة الليل بأحلامه ٠

وعندما صعد القبطان ، كانت السفينة تســرع فى طريقها ناشرة كل شراع فيها ، وتتحرك بسرعة ثمانية

عشر كيلو مترا فى الساعة · ويمكن رؤية جزيرة مونت كريستو ككتلة مظلمة عند التقاء البحر بالسماء ·

وترك ادموند السفينة للقبطان ليأخذ قسطا من النوم وبعد ذلك بساعتين ، صعد ، وكانت السـفينة تغادر جزيرة البا خلفها · وكانوا على وشـك الاقتراب من جزيرة بيانوزا الخضراء · واشرأبت قمة مونت كريستو نحو السماء الحمراء المتوهجة بالشمس اللافحة · وألقى دانتى أمرا للرجال بأن يتركوا بيانوزا على يمينهـم ، لأنه يعرف أن هذا سيوفر عليهم خمسة كيلو مترات ·

وعلى الفور ، أمكن رؤية جزيرة مونت كريستو بكل وضوح · تطلع ادموند الى كتلة الصخور ، التى أعطت كل الألوان للمساء ، من الأحمر الزاهى الى الازرق الغامق · ومرت سحابة عبر عينيه ، لم يكن يعرف أبدا من قبل أن الأمل قد يتسبب فى مثل هذا الأمر ·

وجاء المساء ، وتوقفوا · كانت « اميليا الصغيرة » هى التى وصلت أولا الى مكان اللقاء ·· لم يقدر دانتى

على الانتظار ، فكان أول من وصل الى الشـاطىء ٠
كان الظلام يخيم على الجزيرة ، ولكن فى العاشـرة ارتفع القمر بدرا فوق البحر ، فجعل الأمواج كلها فى لون الفضة ٠

كانت الجزيرة معروفـة جيدا لرجـال « اميليا الصغيرة » ٠٠

وسأل دانتى جاكوبو :

– أين سنقضى الليلة ؟

– فى السفينة بالطبع ٠

– ولماذا لا ننام فى الجزيرة ؟ الا توجد أية كهوف فى هذه الصخور حيث يستطيع المرء أن يقضى الليلة ٠

– ابدا !

لم يعرف دانتى ماذا يفكر ٠ ثم تذكر أن الفتحة بالتأكيد قد اخفاها سبادا ، أو مع الزمن ، أخفت نفسها تحت الاحجار المتساقطة ، أو قد نمت من فوقها النباتات

والاشجار ٠ كان أول شىء عليه هو أن يعثر على الفتحة المختفية ٠ لم يكن يقدر على أن يقوم بذلك فى الليل ٠ فلابد أن ينتظر للصباح التالى ٠

العلامات الحجرية :

عندئذ ظهرت سفينة على بعد حوالى لكيلو واحد فى البحر ٠ انها ترفع بعض الأعلام ، التى أجابت عليها عليها « اميليا الصغيرة » وجاء الوقت للعمل ٠

وصل زورق مقتربا من الشاطىء ٠ ثم بدأ العمل ٠ وتساءل دانتى هل قال لجاكوبو ماهو أكثر من اللازم ؟ أو هل لاحظ الرجال أى شىء غريب فى سلوكه فى هذه الأيام القليلة الأخيرة ؟ هل عرفوا شيئا عن الكنز ؟ ٠٠ لا ٠ ان سره لايزال آمنا ٠

لم يندهش أحد منهم عندما بدأ يتجول متوغلا بينما كان الرجال يرتاحون فى الصباح التالى ٠ وتسلق عاليا حتى ظهر الرجال على الشاطىء فى منتهى الضآلة ثم عثر على طريق يقطعه جدول مـــاء بين جداريــن من

الصخور · فقاده بالقرب من المكان المفروض أن يكون فيه الكنز المخبوء ·

وأثناء سيره بمحازاة الساحل ، متطلعـا بحرص شديدالى كل شيء ، اعتقد انه رأى علامات حجريـــة معينة قد تم صنعها بيد بشر ·

وكانت الأشجار والنباتات أحيانا ما تنبت من حجر فيصعب القول اذا كانت هى احدى العلامـات أم لا · وعندما جاء الى ما أعتقده الحجر الحادى وعشرين ، انتهت العلامات · ولكن لم يجد أى فتحة من أى نوع · كل ما رآه كان صخرة كبيرة تبدو ثقيلة جدا ، وفى وضع رأسى ، لايدعه يفكر أنها قد تحركت فى يوم ما ·

وقال فى سريرته :

- لابد أن أبدأ من جديد !

واستدار وقفل راجعا الى أصدقائه ثانية ·

فى هذه الأثناء ، تناول الرجال الطعام · وأثنـــاء

جلوسهم للأكل ، رأوا دانتى وهو يقفز من صخرة لأخرى تجاههم ٠

وبينما كانت عيونهـم كلهـم ناظـرة اليه ، رأوه يسقط ٠ فركضوا جميعهم اليه ، ولكن جاكوبو وصل اليه أولا ٠ فوجد ادموند راقدا على صـخرة كالميت ٠ ولكنه بعد فترة فتح عينيه ٠ وقال أنه يشعر بألم فظيع فى ركبته وساقيه ، ويشعر بأن رأسه ثقيل ٠ وأرادوا أن يحملوه الى الشاطىء ، ولكنهم عندما لمسوه ، أطلق صرخة ألم ، وقال أنه ليس فى استطاعتـه احتمـال الحركة ٠

وبالطبع لم يكن يرغب فى أى طعام ، ولكنـه قال للآخرين أن يذهبوا ويكملوا طعامهم ٠ وقال أنه لايحتاج الا قسطا بسيطا من الراحة ، **وقال :**

ـ وعندما تعودون ، سأشعر بتحسن !

وتركوه بالفعل ٠٠

وحيد :

وعادوا بعد ساعة · لقد تحرك ادموند حوالى عشرة أمتار ، وكان جالسا مستندا ظهره على صخرة ، ولكن لم يبد عليه أى تحسن ، بل ، ظهر أن المه قد ازداد ·

وكان لابد للقبطان أن يبحر فى تلك الصباح ، فقال لدانتى :

– الا تحاول أن تقف ؟

فحاول دانتى أن يفعل ذلك ، ولكن فى كل مرة كان يسقط صارخا من الألم ·

فقال القبطان فى صوت خفيض :

– لابد أنه كسر احدى عظامه ، ولكنه شاب ممتاز ، ولايجب أن نتركه · وسنحاول أن نحمله الى ظهر السفينة ·

فقال دانتى انه يفضل أن يموت ولا يتحرك ·

فقال القبطان :

ـ حسن ، لا يمكن أن نتركك ، فيقال اننا تركنـا شخصا طيبا مثلك وراءنا على جزيرة جرداء قاحلة · لن نسير حتى المساء ·

وادهش هذا الرجال جميعهم ، لأن القبطـــان كان معروفا بقسوة القلب ، وهذه هى المرة الأولى التى يرونه فيها مستعدا لاهدار الوقت بهذه الطريقة ·

ولكن دانتى لن يدع القوانين تخرق بسببه ، فقال للقبطان :

ـ لا ، لا ، كنت احمقا ، واستحق تماما ان اقاسى لذلك · اترك لى بعض المؤونة واحد الفؤوس ، واشياء قد احتاج اليها لاقامة ملاذ صغير ·

ـ ولكنك ستموت من الجوع !

ـ هذا اهون على من الالم الفظيع فى أن اتحرك ·

والتفت القبطان تجاه سفينته ، المنتظرة فى الخليج مستعدة للابحار ، وقال متسائلا :

– ماذا علينا أن نفعل ؟ لايمكننا أن نتركك هنا .. ومع ذلك لايمكننا البقاء !!

فصاح دانتى قائلا :

– اذهب . أرجوك ان تذهب !

فقال القبطان :

– ان مهمتنا ستستغرق أسبوعا على الأقل ، وعندئذ سنضطر للخروج عن مسارنا للقدوم اليك لأخذك مرة أخرى .

فقال دانتى :

– حسن واذا رأيتم فى خلال مساركم احدى زوارق الصيد ، فاطلبوا منها أن تأتى من أجلى الى هنا واذا لم تصادفوا واحدة منها ، فسأكون سعيدا اذا عدتم من أجلى .

ولم يبد على القبطان انه ارتاح لذلك .

وقال جاكوبو :

ـ ما رأيك أيها القبطان ، اذهبوا ، وسأبقى معـــه لرعايته ·

فقال دانتى :

ـ وتتنازل عن حقك ونصيبك من مكاســـب هذه العملية لكى تبقى معى ؟

فقال جاكوبو بدون أى تردد :

ـ أجل ·

وظهرت على دانتى نظرة غريبة · وضغط على يد جاكوبو متأثرا · ولكن لم يغير أى شىء فى رغبته فى البقاء ··· والبقاء وحيدا ، **وقال لجاكوبو :**

ـ انك صديق طيب ذو قلب عطوف ، فليباركك الله على عطفك · ولكنى لا أريد أى أحد أن يبقى معى · وسأتحسن بالتأكيد بعد فترة راحة ·

وترك الرجال مع ادموند الأشياء التى طلبها من قبل وتركوه · ولعدة مرات بعد ما أقلعوا استداروا نحوه

يلوحون له بحرارة ، ويجيب ادموند بيده فقط ، وكأنه لايستطيع أن يحرك بقية جسده ٠

وبعد أن اختفوا ، قال :

– من الغريب وجود مثل هذا العطف بين أمثال هؤلاء الرجال ٠

وصعد متسلقا بكل حرص الى قمة الصخرة ٠ ومن هناك أمكنه رؤية البحر ٠ وأخذ يراقب السفينة وهى تغادر مقلعة نحو عرض البحر مثل طائر أبيض جميل ٠ وبعد ساعة ، كانت قد اختفت تماما عن البصر ٠

وقفز دانتى ، وأسرع متجها الى الصـــخرة التى تنتهى عندها العلامات ٠

(١٦) الـكنز

الصخرة الثانية والعشرون :

نزل ادموند من الصخرة بخطوات حريصة ، وخشى أن يسقط بالفعل ، بعد أن تظاهر بذلك ٠

وتتبع ثانية صف العلامات على الأحجار ٠ ولاحظ

الأن انها تبدأ من خليج صغير ، يكفى فقط لوقوف سفينة صغيرة كالتى ربما قد استخدمها سبادا · وتنتهى العلامات عند صخرة مستديرة كبيرة ·

ففكر ادموند :

– ولكن ، كيف أمكن للأمير سبادا أن يرفع صخرة بهذا الوزن والى هذا المكان ؟ فلا يستطيع عشرون رجلا أن يفعلوا ذلك · واذا لم تكن هذه هى الصخرة ، فأين يمكن أن يكون المكان ؟

وفجاة سنحت له فكرة :

– ربما بدلا من أنهم قاموا برفعها الى هذا المكان ، فقد تركوها تسقط الى هذا المكان !

وقفز من الصخرة ليتفقد الأرض · كانت هناك علامات واضحة بقطع مجرى عميق فى يوم من الأيام ، والذى تحركت الصخرة هابطة منه · ولقد وضع حجر كبير (الآن تكاد تخفيه الاعشاب) لايقافها وحجزها فى مكانها الراهن · ولقد ملئت الفتحات التى فى

الأطراف ، والتى تدل على أن هذا المكـــان ليس مكان الصخرة الأصلى ، بالاحجار الصغيرة والتراب ٠

وأزال دانتى هذه الاحجار الصغيرة ، وبعد عشر دقائق امكنه أن يضع ذراعه فى احدى الفتحات ٠ وأخذ فأسه وأسقط به أقوى شجرة أمكنه العثور عليهـــا ٠ وأزال فروعها ٠ ثم وضع طرفا منها فى الفتحة وجذب الطرف الآخر بكل قوته ٠ فتحركت الصخرة ٠ وكـرر ذلك عدة مرات ٠ وارتفعت الصخرة من مكانها ، ثـم عادت الى موضعها ثانية ٠ وارتاح دانتى لذلك ، ثمقام بجذبه اخيرة ٠٠ وكانت أقوى الجذبات كلها ٠٠ فارتفعت الصخرة من مكانها ، وتدحرجت أسفل التل ، وسقطت قافزة فى البحر ٠

ورأى دانتى فى المكان الذى كانت فوقه الصخرة حجرا مربعا كبيرا ، فيه حلقة فى منتصفه ٠٠

الحجرة الأولى :

وافلتت من دانتى صرخة فرح وانبهار ٠ وانتظر

دقائق لاسترداد قوته ثانية ٠ ثم وضع طرف شجرتـه داخل الحلقة وضغط الطرف الآخر الى اسفل ، فارتفع الحجر ورأى بعض سلالم هابطة فى ظلام الحجـــرة المحفورة تحت الأرض ٠

وفكر دانتى :

– ترى هل جاء أحد الى هنا من قبل ؟ ربما سيزار بورجيا نفسه ؟ ولكن هل كان سيضيع وقته فى اعادة هذه الصخرة الضخمة ثانية ؟ سانزل !

وبدلا من العتمة التى كان يتوقعها تحت ، كان هناك نور أزرق باهت ، وكان الهواء متجددا ٠ كان كل من النور والهواء يدخلان من فتحات صغيرة فى الصخرة من فوق رأسه ٠ وتطلع الى أعلى فامكنه رؤية السماء الزرقاء وفروع الأشجار المهتزة ٠

وبعد الوقوف هناك لعدة دقائق امكنه أن يرى أبعد نقطة فى المكان ٠ لم يكن هناك اى شىء فيها ٠٠

وتذكر كلمات الرسالة :

« ادخل الحجرة الثانية ! » ٠

انه كان فى الحجرة الأولى ، ويجب أن يعثر على الحجرة الثانية الآن ٠٠

وبدأ يضرب الجدار بفأسه ، الى أن بدا الصوت فى احد الاماكن مختلفا قليلا ٠ وضربه ثانية بقــوة أعظم ٠ ثم حدث شىء غريب ٠ ما كانت تبدو كصخرة كأداء صلدة تكسرت وانهارت بسهولة مظهرة وراءها جدارا من الحجارة المربعة البيضاء ٠ لقد بنيت الفتحة وطليت بالدهان لتبدو فى شكل صخرة ٠

فى هذه اللحظة كادت قوة دانتى أن تنهار ٠ فوضع الفأس على الأرض ورفع يديه أمام وجهه وشكر ربه ٠ وصعد السلالم ليسترد أنفاسه فى الهواء الطلق ٠ وكان كل شىء يمتد هادئا تحت نور الشمس الساطع ٠ وأمكنه أن يرى بضعة زوارق صيد بعيـــدة فى عرض البحر الأزرق ٠ لم يكن قد تناول أى طعام منذ ساعات ، لأنــه لم يكن يشعر بجوع ٠ فأكل قليلا من الخبز وشرب ، ثم

عاد ·· فبدا الفاس اقل ثقلا · ولاحظ أن الجدار الذى أمامه كان مصنوعا من أحجار مرصوصة فوق بعضها فقط · فسحبها واحدة وراء الأخرى ·

الصندوق :

وأخيرا استطاع دانتى أن يدخل الحجرة الثانية · وكانت أصغر واكثر ظلاما من الأولى · وكان الهواء مكتوما وبه رائحة التراب · فانتظر قليلا الى أن يدخلها الهواء النقى ويتجدد هواؤها المخزون · ثم دخـل بعد ذلك ·

كان هنـــاك ركـن مظلم فى يسار الفتحة · ولكن بالنسبة لبعد دانتى فلم يكن ظلاما · ونظر من حوله فى هذه الحجـــرة الثانية ·· لـم يكـن يوجـد بهـا اى شىء ·· !

لابد أن يكون الكنز ، ان كان يوجد فعلا ، فى ذلك الركن المظلم ·

وجاء الوقت · فلو أنه حفر قليـــلا ، فســـيعرف الحقيقة · وذهب الى الركن وبدأ يحفر بكل قوتـــه ·

وفجاة سقط فاسه على شىء جامد · حتى جرس شاتو ديف العظيم لم يكن يحرك قلب دانتى مثلما حركه هذا الصوت · ورفع فاسه ليضرب مرة أخرى · وجاء نفس الصوت ··

فقال اخيرا :

– انه صندوق عظيم ، مصنوع من الخشب ومحاط بشرائط قوية ·

وفى هذه اللحظة ، مر ظل مسرعا عبر المدخل · فأمسك دانتى بفأسه ، واندفع من الفتحة وركض صاعدا السلالم · ولم يكن الظل الا عنزة جبلية ·· لقد استطاع أن يرى علامات حوافرها ·· ثم رآها تأكل فى هدوء بين الاشجار جهة اليسار ·

ووقف مفكرا · ثم أخذ فرعا جافا واشعل فيه النار ، ونزل مرة أخرى · أراد أن يرى كل شىء · وعندما اقترب من الحفرة ، رأى أنه قمة صندوق بالفعل مع أربطة حوله · وأنه لم يكشف عنه · فثبت فرع الشجرة المشتعل فى الأرض · ثم نظف بسرعة قمة

الصندوق ·· كان طوله حوالى متر وعرضه نصف متر تقريبا · وكان مطعما فى منتصفه بقطعة من الفضـــة فى الخشب نفسه ·· وكان هناك شىء مرسوم على الفضة ··· انه شعار أسرة سبادا !!

ذهب وفضة :

لم يعد هناك مدعاة لأى شك بأن الكنز موجود داخل الصندوق · فلن يزعج أحد نفسه لاخفاء صندوق اذا لم يكن فيه شىء ·

حفر حول الصندوق · ثم حاول أن يرفعه · ولم يكن ذلك ممكنا · فحاول أن يفتحه ، ولكن أين المفتاح ؟ فأخذ فأسه ليفتحه بأى شكل · وانفتح الغطاء ·· وكان خشبه عتيقا رطبا ··

وتراجع دانتى للخلف · وأغلق عينيه كما يفعـــل الاطفال عندما يتطلعون الى آلاف النجوم فى ليلة صافية وفتح عينيه ثانية ·· ووقف وكأنه فى حلم ·

كان الصندوق مقسما الى ثلاثة أقسام · وكان فى

القسم الأول عملات ذهبية من عهود وبلدان مختلفة ٠ ومعظمها عليه رأس البابا الكسندر ، حاكم روما فى وقت سيزار بورجيا ٠ وكان فى القسم الثانى سبائك من الذهب الخالص٠وفى القسم الثالث أمسك ادموندبحفنات من الجواهر والماس ٠ وأخذت تتساقط من بين يديه ، فتصدر صوتا يشبه مطر الشتاء فوق النوافذ ٠

وبعدما لمس وتحسس ورأى هذه الكنوز ، ركض اموند نحو السلالم مثل رجل مسه الجنون ٠ وقفز فوق صخرة استطاع منها أن يرى البحر ٠ لقد كان وحيدا ٠ وحيدا مع هذه الكنوز التى لاتحصى ، والتى لم يسمع عنها ! هل كان فى حلم ؟ أم فى علم ؟

وأصبح أهدأ بعد قليل ٠ وكان المساء قادما ٠ وكان كل مايحتاجه فى العشاء هو قطعة خبز وجرعة ماء ٠ وراح فى سبات عميق على فتحة حجرة الكنز ٠٠ !

(١٧) فى مارسـليا

دانتى يغادر الجزيرة :

وعندما عاد نور الصباح ، تسلق دانتى الى قمة أعلى صخرة ليرى اذا كانت توجد أى مساكن أو بشر على الجزيرة · لم يكن هناك أحد على الاطلاق ، انها .

حقا جزيرة مهجورة ، صخرية وعرة ، بها فقط بعض الاشجار والاعشاب فى الاجزاء المنخفضة الضيقة ٠

وعاد الى مكان الكنز ، وذهب الى الحجرة الثانية ، واخذ قدر ما استطاع أن يخفيه فى ملابسه من الجواهر ثم عاد وردم الأرض فوق الصندوق ، ووضـــع رمالا فوق المكان ، حتى لا يعرف أحد بأن الأرض قد عبث بها أحد ٠ ثم وضع صخرة كبيرة فوق الفتحة وردمهـــا بالتراب ، ووضع بعض النباتات سريعة النمو وغرسها فى الأرض ٠ ثم دار حول المكان كله ، مخفيا كل أثر ٠ وعندما غادر المكان بدا وكأنه لم يطئه قدم قط ٠

ثم اعد نفسه للانتظار لعودة أصدقائه ٠٠ ولم يكن ذلك أمرا سهلا عليه ٠ وليس هناك مايبهج بالنسبة له فى أن يجلس ويراقب كنزه العظيم دون أن يجنى ثماره ٠ انه يريد الآن أن يعود ويعيش بين الناس ، وهو يقـــدر تماما القوة التى ســـتوفرها لـــه هذه الثروات ٠ ان دانجلرز وكاديروس وحتى فيلفورت سيكونوا عاجزين أمامه الآن ٠٠ انهم اناس صغار ، لايستحقون أن يفكر

فيهم · ماهى الأعمال الصالحة التى يستطيع أن يفعلها بهذا المال الوفير ! ·· وأى فرح سيجلبه لهؤلاء الذين كانوا قريبين الى قلبه !

وعادت « اميليا الصغيرة » بعد ستة أيام · وعرف دانتى عن بعد شكل أشرعتها وطريقة ابحارها · فنزل الى الشـــاطىء ، متظاهرا بأن قدمـه لازالت تؤلمه ، وسألهم كيف سارت الأمور ·

وأجابوه بأنهم قد اوصلوا البضاعة الى البر بأمان ولكن بمجرد تفريغ الشحنة ، سمعوا بأن سفينة حكومية قد غادت طولون لتوها مسرعة للحاق بهـم · فأقلعوا بأقصى سرعة ممكنة ، وتمنوا لو أن دانتى كان معهم ، لانه كان فى مقدوره أن يســاعدهم كثيرا ·· وكادت السفينة أن تلحق بهم ولكن لحسن الحظ ، دخل الليل ، واستطاعوا أن يولوا أدبارهم فى مجرى سيرهم ، وهكذا جاءوا ثانية الى جزيرة مونت كريستو ·

كانوا جميعا فى غاية الأسف أن دانتى لم يحصل

على حصته من المكاسب ، التى قالوا انها كانت كبيرة ٠ وكان على دانتى أن يمنع نفسه من الضحك ٠

ولم تأت « اميليا الصغيرة » الى مونت كريستو الا لالتقاطه فقط ٠ فصعد على ظهر السفينة ، وبعدها ابحرت الى ليجهورن ٠

اليخت :

وفى ليجهورن ، ذهب دانتى الى منزل أحد التجار الذى كان يعرفه ٠ وباع أصغر أربعة جواهر معه لهذا التاجر ٠ وكان ادموند شبه خائف أن تثار بعض الأسئلة عن وجود مثل هذه الجواهر فى يد بحار عادى ٠٠ ولكن التاجر لم يقل أى شىء ، لأنه دفع ماهو اقل بكثير من قيمتها الحقيقية ٠

وفى اليوم التالى اعطى دانتى سفينة جديدة لجاكوبو ، وهدية من المال ٠ ثم ذهب الى القبطان وأخبره بأن عمه ، الذى قد مات مؤخرا ، قد ترك له مالا وفيرا ، وانه يرغب فى مغادرة السفينة ٠ كان القبطان

حزينا لفراقه ، وفعل كل ما فى استطاعته ليجعله يبقى ٠ وأعطى دانتى هدايا جميلة لكل الرجال ، وتمنوا له كل السعادة الممكنة من كل قلوبهم ٠

بعد ذلك ، غادر ليجهورن وذهب الى جنوا ٠

وفى جنوا رأى صانع سفن يحاول تجربة ابحار سفينة صغيرة جميلة فى الخليج ٠ لقد شيدها لتوه على أن تكون يختا لرجل انجليزى ٠ وكانت صغيرة ، حتى أن دانتى أدرك أن باستطاعته قيادتها والابحار بها بنفسه بمفرده ، دون مساعدة ٠ وعـرف أنها سـريعة جدا ولا تستطيع سفينة أخرى فى الماء اللحاق بها ٠

وعرض دانتى مبلغا أكثر بكثير من ثمنها الاصلى ، وطلب من صانعها الحصول عليها بكل مستنداتها ٠ ولم يوافق صانعها فى الحال ، ولكنه لم يكن يتوقع حضور الرجل الانجليزى قبل عدة شهور ، وكان على يقين أنه يستطيع بناء يخت آخر مثله قبل حضوره ٠ وهكذا تمت الصفقة ٠

وعرض الصانع أن يزوده ببحارة للسفينة ، ولكن دانتى قال انه لايحتاج لأحد ··· وان المتعـــة كلها ، بالنسبة له تكمن فى القيام بكل شىء بنفسه · ولكنه طلب من الرجل أن يصنع له مخبأ فى السفينة ، مقسم الى ثلاثة اقسام منفصلة · ويمكن أن يكون مكانه عند رأس سريره · فوعده الصانع أن يكون ذلك جاهزا فى اليوم التالى ·

العودة لمارسيليا :

وفى اليوم التالى أبحر دانتى من جنوا بمفرده · وجات جمهرة كبيرة لترى « الرجل الانجليزى » الثرى ، الذى يبحر دائما بيخته بنفسه · وتصاعدت صـــيحات الاعجاب عندما رأوا كيف تتحرك السفينة بكل عظمة وتمكن تحت يده · كان دانتى يعرف ، فى الحقيقة ، ان رجال جنوا ، الذين هم أساتذة فى بناء السفن ، لـــم يقوموا بصنع أية سفينة بهذا القدر من الكمال ·

وتتبع الناس السفينة بعيونهم طويلا ، حتى غابت تماما عن أبصارهم · وأخذوا يتساءلون الى أين كانت

ذاهبة ؟ ·· فقال البعض الى كورسيكا ، وقال آخرون الى جزيرة ألبا ، وفكر آخرون فى انها قد تكون ذاهبة الى افريقيا ، ولم يفكر احد فى أنها ستذهب الى جزيرة كريستو !

وكانت هى الجزيرة التى ابحر دانتى اليها بيخته ووصلها فى اليوم التالى · لقد قطع المسافة من جنوا فى خمس وثلاثين ساعة !

لقد لاحظ دانتى الشاطىء بطوله ، وتكشفه بكل حرص وبدلا من السير نحو المكان المعتاد ، اخذ سفينته وادخلها فى خليج صغير · لم يكن هناك أى بشر على الجزيرة · ولم يأت اليها احد منذ أن غادرها · وكان الكنز كما قد تركه ·

وفى الصباح التالى ، بدأ مبكرا فى العمل ، فحمل ثرواته على دفعات · وقبل حلول الليل ، كان الكنز كله قد تم تخزينه فى مخبئه السرى فى أمان ·

وفى صباح رائع ، أبحر يخت صغير ولكنه جميل داخلا ميناء مرسيليا · واتخذ مرساه بالقرب من السلالم

التى منها صعد دانتى ، فى تلك الليلة التى لاتنسى ابدا، الى ظهر الزورق الذى اخذه الى شاتو ديف ٠

وصعد ضباط الجمارك على ظهر اليخت ليطلعوا على الاوراق ٠ ووقف جندى بالقرب من الســلالم ٠٠ وحتى الآن كان هذا المنظر يبعث على الخوف فى قلب دانتى ٠

لقد قرر ادموند أن يطلق على نفسه اسم رجل ثرى واطلع الضباط على أوراق السفينة التى قد حصل عليها فى جنوا ٠ وكانت الأوراق تقــول بأن اليخت يملكــه « الكونت دى مونت كريستو »

وقال الضباط ، وهم يحاولون ارضاء مالك اليخت الثرى :

– ليس هناك سبب يمنع الكونت من الذهاب الى الشاطىء فى الحال ، اذا رغب فى ذلك ، فالاوراق كلها سليمة ٠

منزل والده :

كان أول الرجـــال الذى قابلهم على الشاطىء هو نيكولاس العجوز ، الذى خدم معـــه على الســـفينة «فرعون» · فاتجه الى نيكولاس مباشرة وسأله عـدة أسئلة ، وهو يراقب وجه الرجل بكل حرص · ولم تبين أية كلمة أو نظرة على ان نيكولاس قد عرفه · فاعطاه بعض المال وتركه ، ولكن قبل أن يرحل بعيدا ســـمع نيكولاس يناديه بصوت عال ليقف·· وعـــاد دانتـى لملاقاته ، **فقال الرجل الطيب** ·

ــ لقد قصدت أن تعطينى قطعة من الفضة ، ولكنك أعطيتنى هذه القطعة الذهبية بالخطأ !

فقال دانتى :

ــ أجل ، أيها الرجل الطيب · فعلا لقد وقعت فى خطأ بسيط · وتعبيرا لشكرى لك على هذه الأمانة ، فخذ هذه العملة الذهبية الأخرى ·

ووقع الرجل فى حيرة ·· ومن دهشته لم يقدر على الكلام · ونظر فى وجوم نحو دانتى حتى رحل ، **وفكر قائلا :**

– لابد أنه واحد من هؤلاء الاثرياء القادمين من الهند ·· فمن غيرهم يعطى المال بهذا السخاء ؟

وتابع دانتى سيره · وكانت كل خطوة يخطوهـا تجلب له آملا ومخاوف جديدة · وكانت كل شجرة وكل شارع مزدحم بأفكار الماضى ·

واستمر فى السير الى أن أصبح منزل والده فى مرمى بصره ·· وفى مكانه هذا ، شعر بوهن فى ركبتيه من التفكير فى حب ابيه ، ولكنه استمر فى طريقه ، ولم يتوقف الى أن وجد نفسه عند باب المنزل ·

وفتح الباب · ووجد شيئا أبيض ·· انها رسالة · عند قدميه · فالتقطها وأخذ يقرأها قائلا :

ـ هل أصيبت عيناى بالعمى ؟ اذا كان بصـرى سليما ، فلما لا أستطيع قراءة الاسم ؟ أو لماذا لااستطيع قراءته بسهولة ؟ ·· يبدو أنه (مرســيدس) · ولكن لماذا ؟ انى أحلم ·

الأحباب :

وصل دانتى الى باب حجرة أبيه · وكان مغلقا ، ولكنه سمع بالداخل صوت تحرك هادىء الاقدام · ثـم خيم سكون قطعته أخيرا صرخة ألم خافتة ·

ثم جاء الى سمعه صوت بعيد واهن ، مثل تغريد طائر فقد طريقه فى الظلام ·

وأجابه صوت آخر بلطف ورقة :

ـ نعم ، حالا · الآن · ولكن حافظ على هدوئك · فانت تحتاج الى كل قوتك !·

وضع دانتى يده ليفتح الباب · ولكن قبضة الباب سقطت بجانبه ، ولم تشأ قدماه أن تتحـــركا من فوق الأرض ·

وقال الصوت الواهن ثانية :

– ولكنى أقـــول لك أنه هنـــا ، لماذا لا تذهبـى وتدخليه ؟

– حاول أن تحصل على قسط من النوم الآن ، ولو ساعة واحدة · وربما عندما تستيقظ ··

– أقول لك أنه هنا · ألم أره قادما فى الشارع ، ويتطلع الى هذه النافذة بعينيه العزيزتين ؟ لقد تغير ·· لقد تغير ··

– أجل ، سيكون متغيرا · أليس كذلك ؟

– قولى له أن يأتى بسرعة · قولى له أن الموت يقف بجانبى ينتظر ··· ينتظر حتى أراه فقط !

وارتفع الصوت بحلاوة الروح :

– افتحـى البـــاب ، أقول لك · أفتحى البـــاب وأدخليه !

وجاء وقع اقدام · وانفتـح البـــاب ·· ووقفت

مرسـيدس هناك بعينين منهكتين من طـول السـهر ووقفتها الطويلة بجانب ذلك السرير ·

ورأته ، غير مصدقة لما تراه ، ووجدتـه متغيرا تماما ، ثم صرخت صرخة ضعيفة ، وهى تكاد تسقط من هول الاندهاش ، وكأن قلبها قد تفطر من مفاجأة فيض الفرحة ثم أمسكت بيده صارخة :

ـ تعال بسرعة حتى يستطيع أن يراك بعينيه ·

ونظر اليه الأب المحتضر وقال بوهن :

ـ قبلنى يا ادموند ، ضمنى الى ذراعيك ··· ولتات الآن أيها الموت !

عند عودة نابليون فى عام ١٨١٥ ، كان دانجلرز قد غادر فرنسا · ولم يره أحد ثانية · وقال أن سفينة قد فقدت فى احدى العواصف · اما فرناند فقد قتل فى موقعة واترلو · وكان كاديروس أكبر من أن يذهـب ويحارب فى ذلك الوقت · وهو مايزال حيا يرزق ، كما قالت مرسيدس ، ولكنه أصبح فقيرا معدما ··

قال نيكولاس العجــوز للجندى الواقف بجانب السلالم :

– انظر !

وعلى صفحة الخط الأزرق الداكن ، الذى يفصـــل البحر عن السماء ، كان يهتز شراع أبيض ، لا يزيد عن حجم جناح طائر ..

وقال نيكولاس العجوز :

– لقد رحـــل ، ذلك الرجـــل الانجليزى الثرى الكريم !

فأجاب الجندى :

– أجل . رأيته يرحل ... وهـى أيضـــا رحلت معه .. !

الفهـــــرس

رقم الصفحة

الفصل

اقرأ فى هذه السلسلة :

١ ـ **أوليفر تويست :**
تأليف : تشارلس ديكنز ٠
ترجمة : مختار السويفى ٠

٢ ـ **الآمال الكبرى :**
تأليف : تشارلس ديكنز ٠
ترجمة : مختار السويفى ٠

٣ ـ **ثورة على السفينة بونتى :**
تأليف : وليم بلاى ٠
ترجمة : مختار السويفى ٠

٤ ـ **مغامرات شيرلوك هولمز :**
تأليف : سير ارثر كونان دويل
ترجمة : محمد العزب موسى

٥ - **المغامرات المرحة لروبن هود :**
تأليف : هوارد بايل ٠
ترجمة : نادية فريد ٠

٦ - **الغــاز :**
تأليف : ادجار آلان بو
ترجمة : نادية فريد ٠

٧ - **عائلة من سويسرا :**
تأليف : يوهان فايس ٠
ترجمة : سناء صليحه ٠

٨ - **مغامرات توم سوير :**
تأليف : مارك توين ٠
ترجمة : مختار السويفى ٠

٩ - **مغامرات هكلبرى فين :**
تأليف : مارك توين ٠
ترجمة : مختار السويفى ٠

١٠ ـ رحلة كون تيكى :

تأليف : ثور هايردال
ترجمة : محمد العزب موسى .

١١ ـ حكايات من شكسبير(١) :

تأليف : وليم شكسبير .
ترجمة : الشريف خاطر .

١٢ ـ المزيف :

تأليف : روبرت أونيل .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٣ ـ المخطوف :

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٤ ـ الفرسان الثلاثة :

تأليف : ألكسندر دوماس .
ترجمة : صبرى الفضل .

١٥ ـ الأرض الطيبة :

تأليف : بيرك بك ·

ترجمة : صبرى الفضل ·

١٦ ـ حول العالم فى ثمانين يوما :

تأليف : جول فيرن ·

ترجمة : صبرى الفضل ·

١٧ ـ رحلة الى مركز الأرض :

تأليف : جول فيرن ·

ترجمة : صبرى الفضل ·

١٨ ـ سجين زندا :

تأليف : انتونى هوب ·

ترجمة : محمد العزب موسى ·

١٩ ـ انا كارنينا :

تأليف : ليو تولستوى ·

ترجمة : محمد العزب موسى ·

٢٠ ـ جين اير :

تاليف : شارلوت برونتى ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

٢١ ـ مرتفعات وذرنج :

تاليف : اميلى برونتى ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

٢٢ ـ رجال عظام ونساء عظيمات :

تاليف : ليزلى ليفيت ٠

ترجمة : مختار السويفى ٠

٢٣ ـ دافيد كوبر فيلد :

تاليف : تشارلس ديكنز ٠

ترجمة : مختار السويفى ٠

٢٤ ـ حكاية مدينتين :

تاليف : تشارلس ديكنز ٠

ترجمة : حسين البنهاوى ٠

٢٥ ـ **أوقات عصيبة :**

تأليف : تشارلس ديكنز ٠

ترجمة : د٠ على كامل شحاته ٠

٢٦ ـ **مذكرات بيكويك :**

تأليف : تشارلس ديكنز ٠

ترجمة : د٠ أنور شتا ٠

٢٧ ـ **توم جونس :**

تأليف: هنرى فيلدنج ٠

ترجمة : ناديه فريد ٠

٢٨ ـ **الزنبقة السوداء :**

تأليف : الكسندر دوماس ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

٢٩ ـ **بعيدا عن الناس :**

تأليف : توماس هاردى ٠

ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال ٠

٣٠ ـ العقل والعاطفة :

تأليف : جين أوستين ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

٣١ ـ الكبرياء والهوى :

تأليف : جين أوستين ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

٣٢ ـ حكايات من شكسبير(٢) ٠

تأليف : وليم شكسبير ٠

ترجمة : الشريف خاطر ٠

٣٣ ـ ذات الرداء الأبيض :

تأليف : ويلكى كولينز ٠

ترجمة : نادية فريد ٠

٣٤ ـ جزيرة الكنز :

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون ٠

ترجمة : مختار السويفى ٠

٣٥ - **كنوز الملك سليمان :**

تأليف : سير رايدر هاجارد ·

ترجمة : مختار السويفى ·

٣٦ - **دكتور جيكل ومستر هايد :**

تأليف : روبرت لويس ستيفنسون ··

ترجمة : مختار السويفى ·

٣٧ - **قلعة الخطر :**

تأليف : مارى ستيوارت ·

ترجمة : صبرى الفضل ·

٣٨ - **ابناء الغابة الجديدة :**

تأليف : كابتن ر · ن · ماريات

ترجمة : نادية فريد ·

٣٩ - **ثلاثة رجال فى قارب :**

تأليف : جيروم ك · جيروم ·

ترجمة : د· على كامل شحاتة ·

٤٠ ـ **اللؤلؤة :**

تأليف : جون شتاينبك ٠
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال ٠

٤١ ـ **آخر أيام بومبى :**

تأليف : لورد ليتون ٠
ترجمة : صبرى الفضل ٠

٤٢ ـ **شجرة الجكاراندا :**

تأليف : هـ ٠ ا ٠ بيتس ٠
ترجمة : محمد عبد الحميد الجمال ٠

٤٣ ـ **كيبس :**

تأليف : هـ ٠ ج ٠ ويلز ٠
ترجمة : عبد الغنى داود ٠

٤٤ ـ **من الأرض الى القمر :**

تأليف : جول فيرن ٠
ترجمة : صبرى الفضل ٠

٤٥ ـ **اول رجال على سطح القمر :**

تأليف : هـ ٠ ج ٠ ويلز ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

٤٦ ـ **أرواح شريرة :**

تأليف : هنرى جيمس ٠

ترجمة : الشريف خاطر ٠

٤٧ ـ **خليج القرصان الفرنسى :**

تأليف : دافنى دى موربيه ٠

ترجمة : سعد توفيق ٠

٤٨ ـ **قصص قصيرة من الأدب العالمى(١) :**

تأليف : نخبة من الادباء العالميين ٠

ترجمة : مى التلمسانى ٠

٤٩ ـ **ايفانهو :**

تأليف : سير والترسكوت ٠

ترجمة : صبرى الفضل ٠

٥٠ ـ قصص قصيرة من الأدب العالمى(٢) :
تاليف : نخبة من الأدباء العالميين •
ترجمة : محمد العزب موسى •

٥١ ـ قصص قصيرة من الأدب العالمى(٣) :
تاليف : نخبة من الأدباء العالميين •
ترجمة : محمد العزب موسى •

٥٢ ـ مون فليت :
تاليف ج · ميدفوكنر •
ترجمة : مختار السويفى •

٥٣ ـ ابكى يا بلادى الحبيبة :
تاليف : آلان باتون •
ترجمة : محمد العزب موسى •

٥٤ ـ مزرعة الحيوان :
تاليف : جورج أورويل •
ترجمة : صبرى الفضل •

٥٥ – هى أو عائشة :
تأليف : سير رايدر هاجارد ·
ترجمة : صلاح عز الدين ·

٥٦ – شيرلوك هولمز (٧ قصص) :
تأليف : سير آرثر كونان دويل ·
ترجمة : نادية فريد ·

٥٧ – الكونت دى مونت كريستو :
تأليف : الكسندر دوماس ·
ترجمة : صبرى الفضل ·

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٤/٤٢٦٢

ISBN 977- 01- 3776 - 6